

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان



كلية الآداب واللغات  
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: نقد أدبي حديث ومعاصر

الموضوع:

التجربة الشعرية لدى أبي القاسم الشابي بين إثر الاقتفاء وبديع الاستطراف

-دراسة سيميائية لقصيدة النبي المجهول-

إشراف:  
د/ زدام حامدية

إعداد الطالب (ة):

خلفة فاطمة الزهراء

لجنة المناقشة		
رئيسة	عبو لطيفة	أ.م
ممتحنا	بشير أحمد	أ.م
مشرفة ومقررة	زدام حامدية	أ.ت.ع

العام الجامعي: 1438-1439هـ / 2016-2017م



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

## إهداء

أهدي عملي المتواضع إلى أمي "زهرة بن طواف" التي سهرت وتعبت من أجل مواصلي لدراستي،  
راجية من المولى عزّ وجلّ أن يشفيها، إلى أبي "البودالي" أدامه الله تاجا فوق رؤوسنا.  
إلى جدي أحمد شفاه الله وأطال في عمره، دون أن أنسى جدتي وأمي الثانية غنية رحمها الله.  
إلى أخواتي:

خديجة وزوجها شريف وابنتهما الشقيّة آلاء هديل وعائلة رقاني بأدرار.  
نوال وخطيبها جمال وأختي يسرة.

أخي الغالي الطيب متمنية له النجاح في شهادة البكالوريا.  
إلى خالاتي:

فاطنة وزوجها قاسم

ماما وابنيها أحمد، ومحمد

فتيحة وزوجها إبراهيم وأولادهم، خاصة عائشة، وحنان

سهليّة وزوجها خليفة

كل من يحمل لقب بن طواف بولاية تلمسان، وكل من يحمل لقب خليفة بسعيدة.

إلى أصدقاء الدراسة: خالد، كريم، إسماعيل، ياسين، المحبوبة صليحة، إكرام، أمينة، أسماء، هاجر...

فاطمة الزهراء خليفة

# مقدّمة

يُتسم الأدب العربي الحديث بميزات تفرّد بها عن باقي العصور السّالفة، فهو ينتمي إلى أخصب الفترات الشعريّة، من تعدّد الشعراء وكثرة الدّواوين الشعريّة، والموضوعات التّقليديّة التي ورثها الشعراء عن الأسلاف؛ كالمُدح والرّثاء والغزل، وكذا أنواع أخرى من الشعر الحديث كشعر الوطن والمناجاة، والشّعر الاجتماعي والفلسفي والعلمي.

لذلك كان بحثي فيما حفل به العصر الحديث من آداب، في دراسة أرقى العصور وأكثرها استقراراً، فالأدب العربي الحديث شهد نهضة فكريّة مترامية الأطراف، زيّت الحكم العربي الحديث بتحصّر اجتماعي، وثورة ثقافية علميّة شاملة. ممّا زاد من فضولي للإطّلاع على مخزون ما خلفه أدباء الأدب الحديث بدعم من إخوانهم في شتى المناطق العربيّة، وخاصة المشرق مكّملين إياهم مسيرة الإرث التّقافي العربي، فما جاء به الأدب العربي الحديث هو عدم التّفريط في القديم والدّعوى إلى التجديد، ليكون هذا المضمّار هو طريقي في البحث، فكان التّحفيز الأكبر في دراسة "التّجربة الشعريّة لدى أبي القاسم الشّابي بين إثّر الاقتفاء وبديع الاستطراف"، بإثارة حبايا العمل الإبداعي عند الشّابي في محاولة التقاط العناصر الدّفينّة واستكشاف القيم الجماليّة في النّصّ الأدبي عنده.

وقد أدّت طبيعة البحث أن يكون في مدخل وثلاثة فصول:

فتحدّثت في المدخل عن حياة أبي القاسم الشّابي، وأمّا الفصل الأول تعرّضت فيه إلى مفهوم الشعر والتّجربة الشعريّة في العصر الحديث، وجاء الفصل الثّاني تحت عنوان مظاهر الإتيّباع وأثر الاقتفاء في شعر الشّابي، أمّا الفصل الثّالث فحمل موضوع التّجربة الشعريّة لدى أبي القاسم الشّابي بين الإتيّباع والإبداع، متضمّناً دراسة سيميائيّة لقصيدة النبيّ المجهول لأبي القاسم الشّابي.

وذيلت بحثي بخاتمة أجملت فيها أهمّ التّائج والملاحظات المتوصّلة إليها، وعن المنهج المتبع فهو المنهج الوصفي التّحليلي. وكما هو معروف؛ فلا يخلو أيّ بحث علمي من صعوبات تعيق عمل الباحث، وتجعل مهمّته صعبة وشاقّة، ولعلّ العقبة الرئيسيّة هي صعوبة في استخراج الكتب من مكتبة

الكليّة، وقد كان للأستاذة المشرفة الدكتورة: زدام حامديّة الفضل الكبير في إنجاز هذا البحث، فقد حبتني بتوجيهاتها القيّمة ونصائحها الثمينة، فكانت بحقّ نعم المعلّمة الرّشيّدة، فلها مني كلّ الشّكر والاحترام والتّقدير، كما أشيد بمساعدة الأستاذ الفاضل مهياوي عبد الله من ولاية عين تيموشنت الذي لم يخل عليّ لا بالنّصيحة ولا بالتّشجيع، فله منّي جزيل الشّكر والعرفان، على منحه لي كامل الثّقة بالنّفس.

وفي الأخير، أتمنى أن يكون هذا البحث ثمرة متواضعة من شجرة الأدب العربي الحديث، فقد حاولت الاجتهاد والمثابرة، عسى أن يكون هذا الاجتهاد قد حقّق بعض أهدافه، فأسأل الله التّوفيق والسّداد في القول والعمل.

آمين

تلمسان: جوان 2017

فاطمة الزهراء خالفة

# فهرس المحتويات

## فهرس الموضوعات:

مقدمة:.....أ

فهرس:.....01

مدخل:

### حياة أبي القاسم الشابي:

1\_ مولده ونشأته:.....04

2 \_ شخصيته:.....05

3 \_ مرضه ووفاته: .....06

4 \_ أدبه:.....09

### الفصل الأول:

#### الشعر والتجربة الشعرية في العصر الحديث:

المبحث الأول: مفهوم الشعر في العصر الحديث :.....13

المبحث الثاني: مفهوم التجربة الشعرية: .....17

### الفصل الثاني:

#### مظاهر الإتياع وأثر الاقتفاء في شعر الشابي

المبحث الأول: العوامل الأساسية في تكوين تجربة الشابي:

أ\_ تأثر الشابي بالأدب الجاهلي.....23

ب \_ الأدب الأندلسي .....24

ج \_ مدرسة المهجر وأثرها في شاعرية الشابي .....27

د \_ الشابي والأدب الغربي من خلال الترجمات .....31

34.....المبحث الثاني : موقف الشّابي من الإتياع والمرجعية الشعريّة القديمة:

### الفصل الثالث:

التّجربة الشعريّة لدى أبي القاسم الشّابي بين الإتياع والإبداع:

المبحث الأول: التّجديد والإبداع:

37.....\_ حركة التّجديد في الشعر العربي المعاصر:

38.....\_ الإبداع ومرادفاته.....

المبحث الثاني: معالم الإبداع في التجربة الشعريّة عند الشّابي :

40.....أ\_ الطّبيعة وسحر الغاب في شعر الشّابي .....

45.....ب\_الشّوق إلى المرأة و مشاعر الحنين:

50.....ج\_ الارتباط بالوطن و التّوق إلى الحرّية:

56.....د\_ تأمّلات في الحياة والموت.....

### الفصل التطبيقي:

دراسة سيميائية لقصيدة النّبي المجهول:

62.....\_قصيدة النبي المجهول.....

64.....\_المستوى الصوتي.....

70.....\_المستوى المعجمي.....

72.....\_المستوى البلاغي.....

81.....\_سيميائية العنوان.....

83.....خاتمة:.....

85.....قائمة المصادر والمراجع:.....

مدخل:

# حياة أبي القاسم الشّابي

أبو القاسم الشّابي: (حياته شخصيته .مرضه ووفاته أدبه)

## 1\_ مولده ونشأته:

هو "أبو القاسم بن محمد بن أبي القاسم الشّابي، ولد في الشّابية إحدى ضواحي توزر سنة 1909م. لم يمكث الشّابي في مسقط رأسه إلا قليلاً؛ فقد اضطرّ أن ينتقل مع أبيه القاضي من مكان إلى مكان، وأن يضرب الدّيار التّونسية من بيئة إلى بيئة، وفي سنة 1920م التحق بجامع الزّيتونة، فأتقن القرآن الكريم والعربية وتمارس بالأدب؛ وكان له ميل شديد إلى المطالعة فحصل بها وبنشاطه ثقافة واسعة، جمع فيها ما بين التّراث العربي القديم، ومعطيات الفكر الحديث والأدب الحديث، وغدّى مواهبه بأدب النّهضة في سوريا ومصر ولبنان والعراق والمهجر. كما نمت طاقاته الأدبيّة والشّعريّة، بمطالعة ما ترجم إلى العربية من آداب الغرب ولا سيّما أدب الرومانطيقيّة الفرنسيّة، وقد ظهر نبوغه الشّعري وهو في الخامسة عشر من عمره<sup>1</sup>. لكن تجري الرياح بما لا شهى السّفن، فعلى أثر تخرّجه من جامع الزّيتونة والتحاقه بكلية الحقوق التّونسية، كانت الصّدمة بوفاة الوالد عنيفة هزت كيانه، وهذا في تشرين الأول من سنة 1929م فنظم قصيدته الشّهيرة "يا موت" وصدورها بقوله: "هي صرخة من صرخات نفسي المملوءة بالأحزان والذكريات، وشظيّة من شظايا هذا القلب المحطّم على صخور الحياة، قلتها في أيام الأسى التي تلت نكبتى بوفاة الوالد رحمه الله"<sup>2</sup>:

يا مؤثّ قد مرّقت صدري وقسمت بالأرزاءِ ظهري

ورميتني من حالقٍ وسخرت مني أيّ سخر

1\_ أبو القاسم الشّابي، ديوان أبو القاسم الشّابي، ج1، دار العودة، بيروت، (د.ط)، 1972، ص:15.

2\_ حنا الفاخوري، تاريخ الأدب في المغرب العربي، دار الجليل، بيروت، ط1، 1996، ص:554.

لتغيير حياته، كيف لا وقد كان والده إنسانا ذا تأثير على حياته، وبخاصة أنه كان يوقر له كل شيء في سبيل نجاحه وتفوقه في مجال العلم؛ فوجد أبو القاسم نفسه بذلك مسؤولا على أملاك والده وعلى أمه وإخوته الأيتام، وما أكبر تلك المسؤولية على شاب في العشرين من عمره. عجيب ما قاله البعض: إنَّ الشَّاعر لم يرث أحدا، أليس هذا بوح للنفس وهو يخاطب الموت، صحيح أن القصيدة ندب ونوح وصرخة، أوليس كل هذا الألم فاجعة في الرثاء، ومن كان يعني في أبياته، فالحزن يزداد تدرجا مع القصيدة باندفاع الأسي في مشهد كبير أقفرت فيه عرصات صدره، ومشى مطرقا لثقل الأفكار، ومثلت نفسه الدنيا وينتظر هو نفسه دوره، وها هو يجالذ الحياة ليضمن لأسرته عيشا هادئا في حياة الكفاف، لأنَّه لم يلج باب الارتزاق من المناصب الحكوميَّة وهذا ما عناه البعض حين قالوا: "كنا نرى في نفسه الزكِّيَّة مثال القناعة في أفضل ألوانها والطموح على خير وجوهه"<sup>2</sup>. فالشابي كان يرى نفسه شاعرا؛ والشَّاعر عبد نفسه، وما توحى إليه الحياة لا ما يوحي إليه البشر، لذلك فهو يرى في المناصب الحكوميَّة قيود وسنن يلتزم بها، على عكس الشَّاعر الذي يرى نفسه حرا طليقا مغرِّدا كالطائر في السَّماء محبًّا للحياة .

## 2- شخصيَّته:

بنفسية "صقلها الألم وأغرقها في أعماقها، ووجهها في شطر الصفاء الإنسانيِّ الواسع، فمالت إلى العزلة والتأمل، تناجي الذات التَّونسية المتأملة، وإذ هنالك رومنطيقية بعيدة الأغوار، وجبرانية مطبَّقة، ومع كل هذا وذلك إنصبَّ في نفس الشَّاعر تشاؤم شديد وعنيف"<sup>3</sup>، كيف لا يتشاءم من كان قلبه كقلب الشَّابي يخفق بكل عاطفة، ويحمل آلام بلاده فوق عالم آلامه؟ كيف لا يتشاءم من يرى قومه

1- أبو القاسم الشابي، ديوان أبو القاسم الشابي "أغاني الحياة"، ج1، الدار التونسية للنشر، تونس، ط2، 1983، ص377.

2- يوسف عطا الطريفي، أبو القاسم الشابي حياته وشعره، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2009، ص23.

3- أبو القاسم الشابي، ديوان أبو القاسم الشابي، ص15.

في قيود من المذلة والجهل، ويتململون في سبيل التّحرّر و الإصلاح والنّور؟. يقول محمد الأمين الشّابي في وصف شقيقه: " قويّ البديهة، سريع الانفعال، حادّ الدهن، تكفكف رقه طبعه من غرب عاطفته، وحدة ذهنه، يراه أصدقاؤه بشوشا، كريما، وديعا، متأنّقا، طروبا لمجالس الأدب، يجب الفكاهة الأدبيّة و يراه لم يخالطه خيبا محتشما، ويعرف منه هؤلاء وأولئك صراحة حازمة قويّة يديها لخاصّة خلطائه في غير تحرّج متى اجتمع بهم ، ويجاهر بها العموم في شعره وفي نشره. وكان محبّا لبلاده، صادق الوطنيّة، يؤمن بأنّ لقادة الفكر رسالة إنسانيّة سليمة، حاول جهده أن يحقّقها في أثناء حياته القصيرة قولاً وعملاً"<sup>1</sup>. فشاعر الحبّ والحياة، صادق الأحاسيس، رقيق الطبع، يأنس بمجالسة أصدقاء من مستواه، يستفيد من أقوالهم وحديثهم.

### 3-مرضه ووفاته:

سيطر الحزن على قلب الشّابي سيطرة فضيعة حيث بدا ذلك جليّا في قصائد الأسى والحزن والأوجاع، تلك الأوجاع التي تحوّلت إلى أمراض جسمانية، حيث أصاب أبا القاسم داء تضخّم القلب، ولا سيّما أنه ضعيف البنية، فأعراض الدّاء لم تظهر عليه واضحة إلّا في عام 1929م، وكان يريد أن يتزوج؛ فلم يجد أبو القاسم الشّابي للتّوفيق بين رغبة والده، وبين مقتضيات حالته الصحيّة بدّا من أن يستشير طبيبا في ذلك، وذهب الشّابي برفقة صديقه زين العابدين السنوسي لإستشارة "الدّكتور محمود المطري"، وهو من أحسن الأطباء، ولم يكن قد مضى على ممارسته الطّب يوم ذاك سوى عامين، وبسط الدّكتور المطري للشّابي حالة مرضه، وحقيقة أمر ذلك المرض؛ غير أن الدّكتور "المطري" حدّر الشّابي على أيّة حال من عواقب الإجهاد الفكري والبدني، وبناء على رأي الدّكتور المطري، وامتنالا لرغبة والده عزم الشّابي على الزّواج وعقد قرانه"<sup>2</sup>. وإن كان الشّابي لم يفصح عن هذا المرض في شعره، فإنّه أشار إليه، بشيء من الوضوح، في رسائله ومدكّراته، ولعلّ أحسن الأبيات

1\_أبو القاسم الشّابي، ديوان أبو القاسم الشّابي، ص14.

2\_المصدر نفسه، ص20.

الشعرية وضوحا، وفي هذا السياق قوله مبيّنا شعوره:

لِلَّهِ يَوْمَ مَضَيْتُ أَوَّلَ مَرَّةٍ لِلْعَابِ أَرْزُحُ تَحْتَ عَبءِ سُقَامِي

وَدَخَلْتُ وَخَدِي، وَحَوْلِي مَوْكِبٌ هَزَجَ مِنَ الْأَحْلَامِ وَالْأَوْهَامِ<sup>1</sup>

لم يتمثل شاعرنا لأوامر الأطباء وأهمل نصائحهم، باستثناء ترك النشاطات البدنية كالجري والقفز، وتسلق الجبال وهذا ما صرّح به الشابي نفسه في إحدى يومياته 1930، حين كان يعبر بعض الصّواحي: "ها هنا صبية يلعبون بين الحقول، وهناك طائفة من الشباب الزيتوني والمدرسي يرتادون في الهواء الطلق والسّهل الجميل ومن لي بأن أكون مثلهم؟ ولكن أتى لي ذلك، والطبيب يحدّر علي ذلك لأنّ قلبي ضعفا! آه! يا قلبي! أنت مبعث آلامي ومستودع أحزاني، وأنت ظلمة الأسي التي تطفئ على حياتي المعنوية والخارجية"<sup>2</sup>.

فقد أحسّ الشابي أنّه في حاجة إلى الهواء، كونه ضرورة بشرية، لا يستطيع الإنسان أن يستغني عنها، فكيف يستطيع أن يستغني عنه الشاعر الذي يعاني تضخما في القلب وضيقا في التنفس؟. فالهواء ضرورة لاستمرار الحياة كنقيض للموت.

وهكذا بدأت حاله تسوء يوما بعد يوم حتى أصبح منهوك القوى أكثر من أي وقت مضى، ونجده في إحدى يومياته يقول: "أشعر اليوم بفتور بدني، وبتوعك في مزاجي، ولا أدري مأتاه، وأحس بكآبة عميقة تستحوذ على مشاعري، وتقبض على قلبي، وتجعلني أكره الكتب، والأسفار، والمحابر، والأقلام، لا أريد أن أزيد أكثر مما ذكرت، لأنني أرى النّوم يغالبني، و الإعياء يدفعني للنّعاس"<sup>3</sup>. قضى الشابي صيف عام 1932 في عين دراهم مستشفى، وكان يصحبه أخوه محمد الأمين، ويظهر أنه زار في ذلك الحين "بلدة طبرقة برغم ما كان يعانيه من الألم، ثم أنه عاد بعد ذلك إلى توزر،

1\_ أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، ص389.

2- يوسف عطا الطريفي، أبو القاسم الشابي حياته وشعره، ص15.

3\_ أبو القاسم الشابي، الأعمال الكاملة "المذكرات"، ج2، الدار التونسية للنشر، تونس، (د.ط)، 1984، ص44.

وفي العام التالي إصطاف في «المشروحة» إحدى ضواحي قسنطينة في الشرق الجزائري<sup>1</sup>.

استفحلت العلة وأصبح جسمه العليل لا يقوى على مقاومة الداء، فاضطرّ إلى ملازمة الفراش، فدخل " مستشفى الطالين في العاصمة التونسية في اليوم الثالث من شهر أكتوبر قبل وفاته بستّة أيام، ويظهر من سجل المستشفى أنّ أبا القاسم الشّابي كان مصابا بمرض القلب. توفي أبو القاسم الشّابي في المستشفى في التاسع من أكتوبر من عام 1934، فجرأ في الساعة الرابعة من صباح يوم الثلاثاء الموافق لليوم الأول من رجب سنة 1353هـ<sup>2</sup>.

مات وهو لا يتجاوز السادسة والعشرين عاما من عمره، الأمر الذي خلف أثرا بالغا في نفوس محبيه، غير صامدين لهول الفاجعة رافضين موت الشّابي على مستوى الذّاكرة، وإن دفن جثمانه في أعماق الثرى، وغاب كيانه المادي عن الأبصار، فهو من علم شعبه أغاني الحياة، وأنار طريق الشّباب بالحبّ والإيمان والنّضال، وهو القائل ذات يوم:

سَأَعِيشُ رَغَمَ الدَّاءِ وَالْأَعْدَاءِ كَالنَّسْرِ فَوْقَ القِمَّةِ الشَّمَاءِ

أَرْزُو إِلَى الشَّمْسِ المِضِيئةِ .. هَازِرًا بِالسُّحْبِ وَالْأَمْطَارِ وَالْأَنْوَاءِ<sup>3</sup>

فبوفاته خسر الأدب العربي واحدا من رواده الذين رفعوا رايته في القطر التونسي وخارجه محاولا خدمة التراث العربي، حاملا رسالته السّامية، فقد اختطفته يد المنون وهو في ريعان شبابه، كان عبقرّيّ زمانه، ولو كتب له طول العمر لكان أعجوبة الأعاجيب إن شعرا وإن تأليفا.

---

1\_أبو القاسم الشّابي، ديوان أبو القاسم الشّابي، ص73.

2\_أبو القاسم الشّابي، الأعمال الكاملة المذكرات، ص74.

3\_أبو القاسم الشّابي، أغاني الحياة، ص455.

#### 4-أدبه:

من دون شكّ الشّابي مدرسة نائرة في الشّعر العربي الحديث، فرغم قصر حياته إلاّ أنّه غنّى للبشريّة أروع الأغاني وترك تراثا يزداد مع الأيام قيمة وارتفاعا حتى ترك اسمه مخلدا في سماء الشّعراء المعاصرين، من آثاره:

##### 1. الخيال الشعري عند العرب<sup>1</sup>:

أصل الكتاب محاضرة عن الخيال في الشّعر العربي، نشرت في كتاب مستقلّ عنوانه، «الخيال الشعري عند العرب»، الكتاب مفقود اليوم في المكتبات مع أنّه الأثر الوحيد من بين آثار الشّابي، الذي طبع في حياته وأتيح للنّاس أن يقرءوه، وهو كتاب صغير الحجم عدد صفحاته 141 صفحة وقد تولت نشره دار العرب، للطباعة والنّشر في تونس عام 1929م.

##### 2. ديوان أغاني الحياة:

اعتزم الشّابي نشر شعره منذ عام 1929م، بعد نشر كتابه الخيال الشعري عند العرب، أعلن في صفحة غلافه الأخيرة، عن قرب صدور ديوانه «أغاني الحياة»، و"اعتزم طبعه في مصر تحت إشراف، وبتقديم صديقه الدكتور أحمد زكي أبي الشادي، ولكنّ الموت عاجله قبيل تحقيق أمنيته بساعات معدودات"<sup>2</sup>. فنشره شقيقه الذي يقع في 285 صفحة كبيرة، طبع للمرّة الأولى سنة 1955، ثمّ قامت الدّار التّونسية فطبعته طبعة ثانية سنة 1966، أضافت إليه قصائد للشّاعر لم تنشر له في الطّبعة الأولى.

##### 3. في المقبرة:

هي رواية وجدت بين مخلفات الفقيد، وقد"تحدث عنها الأستاذ زين العابدين السنوسي، في

---

1\_ يوسف عطا الطريفي، أبو القاسم الشّابي حياته وشعره، ص147.

2\_ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

كتابه «الأدب التونسي في القرن الرابع عشر الهجري»، عند ترجمته حياة الشّابي؛ فقال: والشّابي كثير المطالعة، حاد الذهن، وله باع طويل في النثر الشعري، قرأنا له في رواية حسنة بديعة، ناهيك أنّها من نوع (الاعترافات) يقص فيها على لسان بطلها حوادثه، وتأثيراته النفسية<sup>1</sup>.

#### 4- رسائل الشّابي:

مجموعة كبير من الرسائل الأدبية القديمة، "تبادلها مع عدد كبير من الأدباء في المشرق العربي والمغرب، منها رسائله حول القصة في الشعر العربي، وقد راسل بها الدكتور على الناصر في حلب، ورسائل أخرى كاتب بها كلا من الدكتورين الشاعرين إبراهيم ناجي، وأحمد زكي أبو شادي، صاحب مجلة «أبوللو» المصرية وأخرى بها كلا من الشعراء محمد الحليوي، ومصطفى خريف، والمرحوم محمد البشروش في تونس<sup>2</sup>.

#### 5. يوميات الشّابي:

مجموعة من المذكرات اليومية، التي سجل فيها الشاعر آراءه، وخواطره في شؤون حياته المختلفة، وفي كل ما كان يتصل بهذه الحياة من آلام وأفراح، وقد "نشر بعضها في مجلة «مكارم الأخلاق» الصفاقسية بداية من عددها الثاني لسننتها الأولى<sup>3</sup>. كما أنّها موجودة اليوم عند صديقه الأستاذ إبراهيم بورقة وقد خصص لها بحثاً طويلاً أظهر جزءاً منه سنة 1954م تحت عنوان "أبو القاسم الشّابي من خلال يومياته".

#### 6. جميل بثينة:

قصة جميلة ورائعة بأسلوبه الشعري البديع "وكان ينوي إلقائها كمحاضرة "النادي الأدبي" إلا

---

1\_ يوسف عطا الطريفي، أبو القاسم الشّابي حياته وشعره، ص147..

2\_ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3\_ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

أنّ المرض حال بينه وبين ما يريد وهي موجودة عند شقيقه الأمين الشّابي<sup>1</sup>.

#### 7. شعراء المغرب الأقصى:

هو عبارة عن كتاب ظهر في مراكش سنة 1929م، ينقسم إلى " ثلاثة أجزاء لمؤلفه محمد بن عبّاس القبّاح، تناول منه بالدراسة، أما الجزء الثالث كان من نصيب الشّابي فتناوله بالتّقد والتحليل، وأعدّ دراسته لتلقى كمحاضرة، غير أنّ أحدا لم يحضر لسماعها من أعضاء النّادي وهذا ما حزّ في نفسية الشّابي؛ إذ أنّه سجّله في يومياته بتاريخ 13/01/1930م<sup>2</sup>.

#### 8-السّكير:

مسرحية ذات فصلين من نوع الاعتراف، وهي أصعب أنواع الأليف، كما هو معروف عند أبناء المسرح<sup>3</sup>.

#### 9. الهجرة المحمدية:

محاضرة ألقاها بنادي الطلاب في توزر، بمناسبة ذكرى الهجرة المحمدية، في عام 1351هـ، ونشرها تبعا في مجلة "العالم" التونسية لصاحبها الشاعر المرحوم سعيد أبي بكر. للشّابي فضلا عن ذلك كلّه، مجموعة كبيرة من المقالات، والدراسات المختلفة تناول فيها شؤون الأدب العربي قديمه، وحديثه على السواء، وقد نشر بعضها في حياته، ولا يزال بعضها الآخر لم ينشر بعد.

كانت هذه مؤلفاته ومقالاته التي عثر على بعضها عند أخاه الأمين الشّابي، والبعض الآخر عند أصدقائه وبعضها مازال مفقودا، فهو من خلال كتاباته يطلعنا على اكتشاف شخصيّته وتحديد ميولاته ونوازعه .

1\_ يوسف عطا الطريفي، أبو القاسم الشّابي حياته وشعره، ص148.

2\_ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3\_ المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

# الشعر والتّجربة الشعريّة في العصر الحديث

## المبحث الأول: مفهوم الشعر في العصر الحديث:

برز الأدب العربي إلى الوجود بانفجار شعريّ شديد الانسجام مع طبيعة الشخصية العربية، وكان "الشعر شيئاً فشيئاً ديوان العرب ، يحفظ تراثهم وعاداتهم و تقاليدهم وخزانة أخبارهم وأحوالهم"<sup>1</sup>؛ فقد نظر العرب القدامى إلى الشعر على أنه صناعة، وكلما أحسن الشاعر صناعته ونسجه كان حسنا مستساغا و سائرا بين القبائل شانه شان سائر الصناعات، والشاعر في القديم كان لا يقول شعرا إلا إذا زاره شيطانه، فمن كان شيطانه ذكرا تمتع بقوة الشعاريّة و غزارة الإبداع، ومن كان شيطانه أنثى كانت شاعريّته فاترة لا تطال منزلة الفحل الخنديد، وهذه النظرة الحسية المستمدة من بيئة الشاعر، رغم بساطتها تحمل في ثناياها اعترافا ضمنيا بوجود قوة غير عادية تتحكم في الشاعر، و تؤتيه إلهاما وتفتق ذهنه على معاني الشعر فالعرب يعتقدون بالخوارق؛ مثل الغول وهي حيوان خرافي يزعمون انه كربه المنظر، شنيع الخلقة يظلل الناس، و يلهو بالجماحم، و قد أولع (تأبط شرا)\*، بوصفه في شعره ، فقال :

وَإِنِّي قَدْ لَقِيتُ الْعُورَ تَهْوِي  
يَسْهَبُ كَالصَّحِيفَةِ صَخَصَحَانِ  
فَقَلْتُ لَهَا: كِلَانَا نَصُورَيْنِ  
أَخُو سَفَرٍ فَخَلِّي لِي مَكَانِي  
فَشَدَّدَتْ شِدَّةً نَحْوِي فَأَهْوَى  
لَهَا كَيْفَ بِمَضْمُولٍ يَمَانِي  
فَأَضْرِبُهَا بِلَا دَهْشٍ فَخَرَّتْ  
صَرِيحًا لِلْيَدَيْنِ وَ الْجِرَانِ<sup>2</sup>

فالجن والشياطين والطاقة التي تؤهلهم على طرق ألوان من الشعر مصدر للإلهام و الإبداع، "فكان صاحب امرؤ القيس لافظ بن لاحظ وصاحب عبيد الأبرص هبيد ابن الصّلام، وصاحب الأعشى

1\_ حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجبل، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص129.

\*- تأبط شرا (530م): ثابت بن جابر الفهمي بن قيس، ينظر: المصدر نفسه، ص170.

2- ثابت بن جابر الفهمي، ديوان ثابت بن جابر الفهمي "تأبط شرا"، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص300.

مسحّل السكران بن جندل<sup>1</sup>، هذا ما تفتّنت إليه العرب منذ جاهليّتهم، وذهبوا إلى أنّ الشّعْر لغة خاصة تختلف عن لغة الحديث، فهو لغة نوعيّة من عالم آخر؛ حتّى خيّل إليهم أنّ الجنّ يلقي الشعر إلى الشاعر؛ وكان اعتقادهم بوجود واد كثير الجنّ "واد عبقر" حيث كان يلجأ إليه الشعراء أثناء رغبتهم في قول الشعر.

يقول العقاد: "الشعر صناعة توليد العواطف بواسطة الكلام والشاعر هو كل عارف بأساليب توليدها بهذه الوساطة، يستخدم الألفاظ والقوالب والاستعارات التي تبعث تَوْأً في نفس قارئ ما يقوم بخاطره - أي الشاعر - من الصّور الذهنيّة...."<sup>2</sup>.

فالشّعْر عند العقّاد مشاعر منسوجة بين أغاني الذات وآلية تشخيصها وإخراجها للآخر، هي المفردات والألفاظ والقالب اللفظي مستعينا بطاقات اللّغة المختلفة، ويشير إلى التعبير بصياغة جميلة عن العاطفة والأحاسيس الممتزجة بالخيال والفكر والدّوق السّليم بهدف التّأثير، وهو يغيب الوزن والقافية والمحاكاة، وإن يكن السّبك متضمنا ذلك، لكنه لم يجعلها عمدة تعريفه.

ولا يزال مجال الشّعْر في العصر الحديث هو الشّعور، "سواء أثار الشّاعر هذا الشّعور في تجربة ذاتيّة إلى مسائل الكون أو مشكلة من مشكلات المجتمع تترأى من ثنايا شعوره وإحساسه"<sup>3</sup>. والشّعْر يقصد الشّاعر فيه إلى التأمّل في تجربة ذاتيّة صرف، أو ذاتيّة لها طابع اجتماعي، لينقل صورتها الجميلة، فالشّعْر هو "الخلق الأدبي الموقع للشّيء الجميل، ومردّه إلى الشّعور، والدّوق لا إلى الفكر، ذلك أن موضوع الدّوق هو الجمال"<sup>4</sup>.

وهاهو الشّابي يعرفه بقوله: "إنّ الشّعْر يا صاحبي! هو ما تسمعه وتبصره في ضجّة الرّيح،

---

1\_ يوسف عطا الطريفي، أبو القاسم الشابي حياته وشعره، ص29.

2- العقاد، خلاصة اليومية والشذوذ، دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة\_مصر، 1995، ص15.

3\_ محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت، ط1، 1982، ص373.

4- المرجع نفسه، ص380.

وهدير البحار، وفي بسمه الوردة الحائرة، يدمدم فوقها النحل ويرفرف حولها الفراش... وفي وسوسة  
الجدول الحالم المرتفع بين الحقول... وفي دمدمة التهر الهادر المتدفق نحو البحار... وفي ملمع الشمس  
و خفوق النجوم، وكل ما تراه وتسمعه، وتكرهه، وتأنفه، وتخشاه... فهل بعد ذلك تسألني عن  
الشعر...<sup>1</sup>.

إنّ الشعر مطيئة يمتطيها الشاعر ليحلّق بعيدا عن الواقع الذي يكرهه ويخشاه، يريد أن يتعد  
عنه قدر المستطاع، فهو حلم ورفرفة بين الجداول والحقول، بين ملمع الشمس، وضياء النجوم؛  
إنّه الحرية والتطلّع إلى أفق مليء بالأحلام والطّمأنينة ومعانقة الغاب\*، فهو يجعل من عالم الخيال  
المتنفس الوحيد للابتعاد عن تلك الحياة الصّاحبة مع النَّاس ويستمتع بمشاهد الطبيعة السّاحرة، يقول:

وَإِنْ أَرَدْتَ قِضَاءَ الْعَيْشِ فِي دَعَةٍ      شِعْرِيَّةٍ لَا يُخْشَى صَفْوَهَا نَدْمٌ  
فَأَتْرُكُ إِلَى النَّاسِ دُنْيَاهُمْ وَضَجَّتْهُمْ      وَمَا بَنُو النَّظَامِ الْعَيْشَ أَوْ رَسَمُوا  
وَاجْعَلْ حَيَاتِكَ، دَوْحًا مُزْهِرًا نَضِرًا      فِي عُزْلَةِ الْعَابِ يَنْمُو ثُمَّ يَنْعَدِمُ<sup>2</sup>

فهو يحاول مقنعا غيره بضرورة العيش في رحاب الغاب، مادام هذا الغاب يخلق له ولغيره  
السّعادة. فالشعر هو الوسيلة الفنّية التي يستحسن الشّابي من خلالها مظاهر الكون و خوالج النّفس  
ولذلك فقد اكتسى أهمية كبيرة في حياته، وهذا ما تبينه مجموعة الأبيات، لعل أبرزها تعبيراً عن هذه  
المعاني هي:

البيت الأول:

أَنْتَ يَا شِعْرِي، فَلَدَّةٌ مِنْ فُؤَادِي      تَتَعَنَّى، وَقِطْعَةٌ مِنْ وَجُودِي

1- نسيب النيشاوي، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)، 1984، ص284.  
\*- الغاب عند الرومانتيكيين يمكن استنتاجه من قول الشاعر الرومانتيكي بيرون: في العابة العذراء متعة، وفي الضفاف المنعزلة سحر، فهنا أنس حيث لا  
دخيل من الناس. ينظر محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية، دار العودة، بيروت، (د.ط)، 1973، ص170.

2- أبو القاسم الشّابي، ديوان أبو القاسم الشّابي "أغاني الحياة"، ص215.

فِيكَ مَا فِي حَوَائِجِي مِنْ حَيْنٍ

أَبْدِيَّ إِلَى صَمِيمِ الْوُجُودِ<sup>1</sup>

البيت الثاني:

أَنْتَ يَا شِعْرُ قِصَّةٍ عَنْ حَيَاتِي

أَنْتَ يَا شِعْرُ صُورَةٍ عَنْ وُجُودِي

أَنْتَ يَا شِعْرُ إِنْ فَرِحْتُ - أَعَارِئِي

2 - وَإِنْ غَنَّتِ الْكَأَبَةُ - عُودِي

البيت الثالث:

يَا شِعْرُ أَنْتَ نَشِيدُ أَمْوَاجِ الْخِضَمِّ السَّاحِرَةِ

النَّاصِعَاتِ الْبَاسِمَاتِ الرَّاقِصَاتِ، الطَّاهِرَةِ<sup>3</sup>

البيت الرابع:

يَا شِعْرُ أَنْتَ جَمَالُ أَضْوَاءِ الْعُرُوبِ السَّاحِرَةِ

4 يَا هَمْسَ أَمْوَاجِ الْمَسَاءِ، الْبَاسِمَاتِ الْحَائِرَةِ

لقد بينت هذه الأبيات منزلة الشعر في نفس الشاعر لأن الشعر يجسد ما ينتاب هذه النفس، من مشاعر إزاء الغاب، فهو ترجمان لما يحول في داخله، وتصوّر جديد لدنيا جديدة قريبة إلى دنيا الخيال من دنيا الواقع.

1- أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، ص124.

2- المصدر نفسه، ص125.

3- يوسف عطار الطريفي، أبو القاسم الشابي حياته وشعره، ص187.

4- المرجع نفسه، ص188.

## المبحث الثاني: مفهوم التجربة الشعرية:

التجربة الشعرية هي: "الحالة التي تلابس الشعر وتوجّه ذهنه أو بصيرته إلى موضوع من الموضوعات أو واقعية من واقعات الدنيا أو مرآة من مرآي الوجود، وتؤثر فيه تأثيراً قوياً تدفعه في وعي، أو غير وعي إلى الإعراب كما يرى أو يشاهد أو يتأمل"<sup>1</sup>، أي أنها تجربة نابعة من عمق ظاهرة سواء أكانت عن المجتمع أم الوجود الذي ترك في نفس الشاعر أثراً عميقاً.

في حين يعرفها محمد غنيمي هلال بقوله: "نقصد بالتجربة، الصورة الكاملة النفسية أو الكونية التي يصورها الشاعر حين يفكر في أمر من الأمور تفكيراً ينم عن عميق شعوره وإحساسه، وفيها يرجع الشاعر إلى اقتناع ذاتي وإخلاص فني، لا إلى مجرد مهاراته في صياغة القول ليعبث بالحقائق أو يجاري شعور الآخرين لينال رضاهم بل إنّه ليغذي شاعريته " بجميع الأفكار النبيلة، ودواعي الإيثار التي تنبعث عن الدوافع المقدّسة، وأصول المروءة النبيلة" وتشف عن جمال الطبيعة والنفس"<sup>2</sup>، فالتجربة الشعرية نابعة عن عمق تجربة مسّت الشاعر عن قناعة ذاتية تهدف إلى إخلاصه الفني ليس عن مهارة لنيل رضا المتلقي و المساس بمشاعره و أحاسيسه بل لإغناء أفكاره الشاعرة التي تؤثر في نفسه قيم الجمال والحياة .

أمّا الناقد شوقي ضيف: "ليست عملاً شعرياً فحسب ولا قصيدة منظّمة فحسب، بل هي حدث نفسي عقلي مارسه شاعر لأول مرة، ولم يسقط من ذاكرته ولا ذاكرة الناس من حوله ومن بعده، لأنه حدث يشبه بناء ضخماً، إلا أنّه بناء فكري عاطفي"<sup>3</sup>، فهي حادثة نفسية عقلية جرت له ولم ينساها، فبقيت راسخة في ذهنه وأثرت في نفسه تأثيراً قوياً.

### عناصر التجربة الشعرية:

إنّ التجربة الشعرية في العصر الحديث تركز على عناصر أساسية في العمل الإبداعي وبخاصة

1- محمد السعيد قشوان، مدرسة أبولو الشعرية في ضوء النقد الحديث، دار المعارف. (د ط)، (د.ت)، ص199

2- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص383.

3- شوقي ضيف، في النقد الأدبي، ص140.

لدى الشعراء الرومانتيكيين، ومن أهم هذه المبادئ: العاطفة والخيال.

#### أ- العاطفة:

لم يجهد النقاد القدامى معنى العاطفة إذ لم تشع عندهم هذه الفكرة كثيرا، ولكن استعملت ألفاظ أخرى في معناها كالرغبة والرّهبة و الرّقة، لكن النّقد الحديث عرف انتشارا واسعا لها من خلال الدّراسات وأعمال النّقاد المحدثين، وهي لدى أحمد أمين: "عنصر هام في الأدب، ومع علم الأقدمين بها، فإنّ اسمها لم يستعمل في الأدب العربي إلّا حديثا، كالذين قالوا عن الأدب الألماني فيه عشق كثير، ولكن ليس فيه كلمة عشق، فأنت تقرّ طبقات الشعراء لابن قتيبة مثلا، فنجد فيه قليل الشعر للرّغبة أو الرّهبة، ولكن لا تجد كلمة العاطفة، لأنّها لم تختزع إلّا في العصر الحديث"<sup>1</sup>.

فلكلّ شاعر نظريته الخاصة اتجاه العاطفة، ويرى الشّابي أنّ للعاطفة دورا كبيرا في نجاح العمل الشعري، ولذلك نرى العاطفة عنده خادمة لبقية العناصر، فهي السّبب في عذوبة اللّغة والسّبب في الإقناع بالفكرة، إذ هي عنصر يشدّ الإنسان شاء ذلك أم أبي وتجعله يراجع نفسه ويغيّر من ذاته. يقول "شوقي ضيف": "الأحاسيس والمشاعر هي أهم العناصر في القصيدة أو في التجربة الشعريّة"<sup>2</sup>، فقوّة العاطفة عند الشّابي جعلت الشّعر جزءا منه وقطعة من قلبه وفؤاده لا يستغني عنها لأنّها تفصيل مهم في ذاته ووجوده.

#### ب- الخيال:

الخيال في التراث العربي كان متأثرا بأرسطو ونظريته في المحاكاة، فقد جاء عندهم مختلطا بالوهم، ولم يناقشوه في صوره العامة. فهذا "غنيمي هلال" يقول: "الخيال والوهم شيء واحد عند هؤلاء و جميعا، ويجب الحذر منه في الأدب..."<sup>3</sup>.

أما "شوقي ضيف" فيردف للعاطفة شيئا من التّنوير الفكري والحدس العقلي، فلولاها لكانت شيئا

1- أحمد أمين، النقد الأدبي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، (د.ط)، 1992، ص 34.

2- د. شوقي ضيف، في النقد الأدبي، ص 146.

3- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص 388.

قائما على الفوضى، فحتى تكون العاطفة كما يرومها المتلقي صادقة نابعة عن واقع حاصل، وحقيقة ثانية لا بد أن تخضع لمقاييس الفكر الصائب، والعقل السليم الذي يضع كل واقع في وضعه الحقيقي الأصلي الصائب الذي لا يتجادل فيه اثنان. إذ يقول: "ليست كل عناصر التجربة الفنية أحاسيس ونفسا، ففيها العقل والفكر، وهو من أهم عناصرها، إذ هو الذي يشرف على الأحاسيس وينظمها، ولولاه لكانت خليطا مضطربا لا تسوده وحدة ولا يسوده نظام"<sup>1</sup>.

وهاهو يحدثنا عن أهمية الخيال في التجربة الفنية. قائلا: "إنّ التجربة ينبغي دائما أن تكون تجربة نفسية للعقل عمل فيها ولكن بشرط أن لا يخرجها من عالمها عالم الرؤى والأحلام، والصّور الطريفة، ولعله من أجل ذلك كان الخيال مهما في التجربة الشعرية"<sup>2</sup>. فالخيال يساعده وينميه وهذا أقرب إلى الحقيقة عند الشعراء الرومانتيكين.

ويبدو أن الشّابي قد وجد في الغاب ما جعله يخلّق في عالم الخيال، ويستغرق في عالم الأحلام، لينتقل من المادي المحدود إلى المجرد الفسيح، حين قال:

في العَابِ العَابِ، دُنْيَا لِلْحَيَالِ، والرُّؤْيِ والشُّعْرِ، والتَّفَكِيرِ، والأَحْلَامِ<sup>3</sup>

يقول في موضع نثري آخر: "إنّ عنصر الخيال ضروري للإنسان لا بد منه ولا غنية عنه، ضروري كالنّور والهواء والماء والسّماء، ضروري لروح الإنسان لقلبه ولشعوره، مادامت الحياة حياة والإنسان إنساناً"<sup>4</sup>.

فالخيال له أهمية كبيرة في عملية الإبداع الشعري، وهو يتماشى مع الحقيقة لفهم أسرار النفس، وخبايا الوجود، فالخيال عنده هو العامل الخلاق، يجمع بين ما هو حسي وخيالي.

1- شوقي ضيف، في النقد الأدبي، ص146.

2- المرجع نفسه، ص149.

3- يوسف عطا الطريفي، المرجع نفسه، ص313.

4- أبو القاسم الشّابي، الخيال الشعري عند العرب، الدار التونسية للنشر، ط2، 1983، ص18.

هذا ما قصده الدكتور " محمد غنيمي هلال": حين قال: "لابد أن تعينه دقة الملاحظة، وقوة

الذاكرة، وسعة الخيال، وعمق التفكير، حتى يخلق هذه التجربة الشعرية التي تصوره عن قرب"<sup>1</sup>.

فالخيال قد تحرر من سيطرة العقل والقيود عن الرومانسيين، ليخرج الأدب من قوقعته ويعيد إشراقه

وحيويته بعد أن ظل أسير المذهب الكلاسيكي.

---

1- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص389.

# مظاهر الإِتِّبَاعِ وأثر الاقتفاء في شعر الشَّابِي

يبدو لنا الشعر العربي طيلة النصف الأول من القرن العشرين في صور ثلاث:  
الصورة الأولى هي التقليد والإتباع، وتكتنز الصورة الثانية بدفعة ثورة تجديدية في المضمون والشكل  
معاً، أما الصورة الثالثة فتأرجح بين رومنطيقية الكآبة حيناً، والغضب والعنف حيناً آخر؛ والتألق  
الشكلي التجميلي أحياناً.

فالشعر العربي كما ذكرنا في الصورة الأولى: تكرر أبتراً لأشكال وألفاظ وأفكار سابقة، ظلت  
لدى الشعراء كالقالب لديهم والمنوال فيستعيرون أجواء أسلافهم ويأخذون صيغهم؛ في هذه الفترة  
(عصر النهضة)؛ الذي لم يلحظ أيّ جهد يضيف أو يغير في كل ما يتصل بالمرورث الشعري القديم،  
فكان معظم الشعراء ينظرون إلى الطبيعة حولهم بأعين تاريخية. حيث كان في شعرهم قاموساً من  
الكلمات والتعابير والأوصاف الجاهزة والمتداولة والمتوارثة، وقلماً كان يظهر في هذا الشعر بعد  
شخصي وأثر ذاتي وتخريجات لغوية، "فالكلام كان رداء مستقلاً مصنوعاً لكي يتلبس موضوعاً جاهزاً  
خارجياً، وبالتالي تأتي القصيدة نسخة منقولة من هنا وهناك تلتصق صناعياً بالواقع"<sup>1</sup>.  
في هذا الاتجاه تبرز أسماء شعريّة عديدة في طرق تعبيرها وتتلاقى في غاياتها، من بين هاته الأسماء  
تجد: أبو القاسم الشابي، وعلي محمود طه، وإبراهيم ناجي... الخ، فالشعر هنا سفر حزين الأرض في  
طريق تقود مهما تعددت مسالكها إلى ما وراء الواقع؛ وليس في الطريق غير الشقاء الذي قد يكون  
ينبوع الغبطة الوحيد في هذه الدنيا. ونعثر في هذا الشعر على قصائد ذات أهمية بالغة في دراسة  
الرومنطيقية و الجوانب الميتافيزيقية في الشعر العربي و في دراسة البناء الشعري .

---

1\_ عطية عبد الهادي عبد الله، ملامح التجديد في موسيقى الشعر العربي، بستان المعرفة، الإسكندرية، (د.ط)، 2002، ص102.

## المبحث الأول: العوامل الأساسية في تكوين تجربة الشابي:

### 1\_تأثير الشابي بالأدب الجاهلي:

إنّ الشّاعر التونسي ككل شاعر عربي عاش مظلمة تاريخية عميقة الجذور، فورث عن الأسلاف وضعية شائنة، إذ "ساد الاعتقاد على الدّوام بأنّ الشّاعر إذا لم يكن مجنوناً فقد اعتاد أن يكون مع النّاديين في حلقات الرّثاء والمسبّحين بآلاء ذوي النّعم و السّلطة"<sup>1</sup>.

و الشّابي من بين الشّعراء الذين أحبّوا البلاد، فكان له من المطالعات للكتب القديمة عن الأدب الجاهلي الحظ الأوفر؛ ليكتب عن الطلل الذي عرف عند الشّعراء الأقدمين في دواوينهم "فقد كانت تونس راسخة في ذهنه وقلبه هاجس ليله ونهاره، فقد كانت تونس ملئ عين التّاريخ حافلة بالمجد والرقي والكرامة والعزة لشعبها منذ أقدم العصور، أقام بها أوغسطينيوس، وابن خلدون، وابن منظور، فهي بلد الفن والعلم والقيادة، بلد تحرير الشّعب من مهانة الظّلم و الاستبداد، فمن أين تسرّب إليها هذا الحمول والرّكود؟"<sup>2</sup>، فتونس بلد الشّاعر الذي احتضنته في غابها الخلاب، وعزّفته على تاريخ أعلامها وأدبائها الحافل بالإنجازات، فهو يتساءل إن كانت بلده في القديم ذات حضارة وفن رفيع، فكيف وصلت إلى الحالة التي هي عليها اليوم من الرّكود والجمود وعدم التطلّع نحو غدٍ أفضل.

ليعبّر عمّا يختلج نفسه من مشاعر، باكياً على وطنه، في قصيدة أسماها «تونس الجميلة»، فيقول:

لَسْتُ أَبْكِي لِعَسْفِ لَيْلٍ طَوِيلٍ      أَوْ لِرُبْعِ عَدَا الْعَقَاءِ مَرَاخِهِ  
أَنَا يَا تُونِسَ الْجَمِيلَةَ، فِي لَجٍّ      الْهَوَى قَدْ سَبَحْتُ أَيَّ سَبَاخِهِ  
شَرَعْتِي حُبِّكَ الْعَمِيقِ، وَإِنِّي      قَدْ تَضَوَّقْتُ مُرَّةً وَقَرَاخِهِ  
ضَيَّعَ الدَّهْرُ بَحْدَ شَعْبِي وَلَكِنْ      سَتَرْتُ الْحَيَاةَ يَوْمًا وَشَاخِهِ<sup>3</sup>

1- محمد الصالح الجابري، ديوان الشعر التونسي الحديث، الشركة التونسية للتوزيع، ط1، 1976، ص07.

2- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب في المغرب العربي، ص557.

3- أبو القاسم الشابي، ديوان أغاني الحياة، ص24.

فهو يقف على أطلال هذا المجد الغابر، وفي قلبه لوعة، وفي نفسه أمل ليكون في هذه الأبيات قد جاء بالمقدمة الطللية؛ التي عرفت عند شعراء الجاهلية .

## 2- الأدب الأندلسي :

أ- الغزل:

من المواضيع الشعرية التي برع فيها العرب منذ القديم الغزل؛ فقد "كان الشابي في نحو الخامسة عشر من العمر عندما نظم قصيدته الغزلية " الغزال الفاتن "، وقد نهج فيها منهج شعراء الأندلس، فأغرق في التصنيع، وفي اعتماد الجمالية اللغوية، وكأني بالقصيدة موشحة يطرزها الشاعر تطريزا في غير معاناة، وينمقها في غير روح، وكأني بالفتى الناشئ يداعب أوتار قريحته لتخبر طاقاته التعبيرية، وإذا القصيدة مجموعة ألوان وألحان وفسيفساء الأوصاف الجمالية، جمعها الشاعر من حدائق الأندلسيين، ومن مرابع أنسهم ومواسم أحلامهم"<sup>1</sup>. يقول في أولى تجاربه الشعرية، وفي تجربة الحب الجميل :

بَدَرَ الحُبُّ بَدْرَهُ      فِي فُؤَادِي فَأَوْرَقًا  
بِلِحَاطِ نَوَافِثٍ      فَجَنَى حَظِّي الشَّقَا  
وَسَعَا فِيهِ مُهْرُهُ      عَادِيَا، ثُمَّ أَعْنَقَا

إنها الطفولة الشعرية التي تبذر الحب في القلوب كما يبذر الحب في التراب، "والتي تجعل لذلك الحب مهرا يعدو ثم (يعنق)، والتي تعتمد الصورة في سبيل إرضاء ذوقها الطفولي وعاصفتها التي لم تعصف فيها بعد عواصف القلق، ولم تضطرب فيها نيران الوجد والصبابة"<sup>3</sup>. وعندما ينتهي الشاعر إلى محبوبه يأخذ في وصفه وإبداء التحرق لديه، ويمزج صناعة الكلمة لصناعة العاطفة، يقول في نفس

1- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب في المغرب العربي، ص: 563.

2- أبو القاسم الشابي، ديوان أغاني الحياة، ص: 17.

2- حنا الفاخوري، المرجع نفسه، ص: 563.

القصيدة الغزليّة :

تَعْرُهُ مِنْ عُمْودِهِ وَدُمُوعِي تَنْسَقًا  
خَصْرُهُ مِنْ نَحَافَتِي وَنُحُولِي تَنْطَقًا  
مَرَشَفَاهُ بِحَدِّهِ وَدِمَائِي تَخَلَّقًا  
مِنْ لَطَى جَمْرٍ خَدُّهُ كَبِيدِي قَدْ تَحَرَّقًا

1

لكن سرعان ما؛ أخذت يد المنون المحبوبة التي أحبها الشاعر وتعلق بها، فقد ماتت وهي برعم لم يفتتح، فأثرت هذه التجربة في كيانه، وتفجرت في حناياه بواعث العذاب، وانطوى قلبه على الأسي لا سبيل فيه إلى العزاء، يقول في قصيدة «جدول الحب بين الأمس واليوم»:

بِالْأَمْسِ قَدْ كَانَتْ حَيَاتِي كَالسَّمَاءِ الْبَاسِمَةِ  
وَالْيَوْمِ، قَدْ أَمْسَتْ كَأَعْمَاقِ الْكُهُوفِ الْوَاجِمَةِ  
قَدْ كَانَ لِي مَا بَيْنَ أَحْلَامِي الْجَمِيلَةِ جَدُولٌ  
يَجْرِي بِهِ مَاءُ الْمَحَبَّةِ طَاهِرًا، يَتَسَلَّسَلُ  
هُوَ جَدُولٌ، قَدْ فَجَّرَتْ يَنْبُوعَهُ فِي مُهْجَتِي  
أَجْفَانُ فَاتِنَةَ أَرْتَنِيبَهَا الْحَيَاةُ، لِشَقْوَتِي  
ثُمَّ اخْتَفَّتْ أَوَّاهٍ ! طَائِرَةٌ بِأَجْنِحَةِ الْمُنُونِ  
نَحْوَ السَّمَاءِ، وَهِيَ أَنَا فِي الْأَرْضِ تَمْتَالُ الشُّجُونِ !

2

فالشاعر يبكي أمسه ويندب حبه الضائع أين كان فرحا مع محبوبته، وكيف أصبح اليوم فموت الفتاة التي تزوجها الشابي بعد حبّ أساءت إلى حياته أبلغ الإساءة . فهو كان يرى الحبّ والحياة وأمل العيش بسلام، لكن بعد موتها صارت حياته مثل الكهف المظلم الذي يكسوه الخوف والظلام ، لا

1- أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، ص:17.

2- المصدر نفسه، ص:80

حياة فيه ولا نور. هذا هو الغزل عند الشابي فهو يتحدث عن الحب، مخاطبا الحبيبة حيناً ومتحدثاً عنها حيناً آخر، شارحاً الهوى حيناً وما فعل الهوى به حيناً آخر، هته هي الأحاسيس والعواطف التي تمتلك الشاعر إزاء محبوبته. ففي الأمس يتغنى بحياة الحب والهوى، وينضد سعادة القلب ولكن سرعان ما يختفي كل شيء ليسير في وادي المعاناة، والظلام متألماً من كآبته وحزنه تحت سحب الضباب وظلام الكهوف .

ب- في الموشحات الأندلسية :

الموشح في شعر الشابي: يقول ابن سناء الملك أحد محددى قواعد فن التوشيح، ومبين خصائصه وطرق نظمه وأوزانه إنه "كلام منظوم على وزن مخصوص... يتألف في الأكثر في ستة أفعال وخمسة أبيات، ويقال له التام، وفي الأقل من خمسة أفعال وخمس أبيات، ويقال له الأقرع، فالتام ما ابتدأ فيه الأفعال والأقرع ما ابتدأ فيه بالأبيات"<sup>1</sup>.

فالشابي تأثر بالأندلسيين وطريقة نظمهم للقصيدة خاصة في الموشحات، فكانت له تجارب عدّة على طريقتهم، يقول في قصيدة له من فن التوشيح "النجوى" التي نظمها في سنّ السادسة عشر :

قِفْ قَلِيلًا أَيُّهَا السَّارِي الْقَمَرُ ! وَاصْطَبِرْ

وَاسْتَقِنِي مِنْ جَدْوَلِ النُّورِ الْبَدِيعِ قَدْحًا

عَلَّنِي أَفْهَمُ هَيْثُومَ الرَّبِيعِ إِنَّ صَحَاً

2

فكانت هذه القصيدة محاولة منه لتقليد شعراء الأندلس، متأثراً بهم "في طريقة نظمهم، وفي أساليب تصوّرهم للحياة، وفي نهج الزخرفة والتّرميق، حتّى كان شعره من شعرهم، وصياغته من صياغتهم"<sup>3</sup>. لاجئاً إلى الطبيعة كما فعلوا، حيث الهوى الطلق وانبساط النفس وابتهاجها.

وللشابي قصائد أخرى في الموشح تحدّث فيها عن الحزن والكآبة والشكوى: «في الظلام»، «مأتم

1- توفيق بكار، مشاركة في دراسة أبي القاسم الشابي، حوليات الجامعة التونسية، تونس، عدد 2، (د.ط)، 1965م، ص 135.

2- يوسف عطا الطريفي، أبو القاسم الشابي حياته وشعره، ص: 161.

3- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب في المغرب العربي، ص: 552.

الحب»، «الكآبة المجهولة»، «شكوى اليتيم»، فكل هذه القصائد في الموشح كتبها في سن مبكرة من حياته؛ بين سنتي 1925-1926- فهو الذي قال عن الأدب الأندلسي: "إنه أنصع ديباجة وأرقى أسلوبا وأدق تصويرا، والبلاد الأندلسية أشد جمالا و أعظم روعة من البلاد الشرقية"<sup>1</sup>. فالشعر الأندلسي رقيق العواطف، يجعل من الطبيعة ملجأ يستعيد الشاعر من خلالها ذكرياته وأيام وصاله المنصرمة، يقول في «ماتم الحب»:

فَأَنَادِي

يَا فُؤَادِي

مَاتَ مَنْ تَهَوَى، وَهَذَا- اللَّحْدُ قَدْ ضَمَّ الْحَبِيبَ

فَابْكِ، يَا قَلْبَ، بِمَا - فَيْكَ مِنْ حُزْنٍ مُذِيبِ

إِبْكِ، يَا قَلْبَ، وَحِيد<sup>2</sup>

فقد ظلت ذكرى حبه الطفولي تسيطر عليه بقسوتها التي تركت في نفسه جراحا عميقة لم تشف مع الأيتم؛ لذلك جاء شعره مليء بالحزن والكآبة والحنين والشوق إلى الماضي؛ الذي انطوى ذكرى جميلة لا يستطيع نسيانها.

3-أدب المهجر وأثره في شاعرية الشابي :

إنه الأدب الذي يمتاز بتبرمه الناعم، وصفوته الحاملة، وثورته الجارحة، وأضرب من ألوان الحب والحياة والميول والآمال؛ كان من شعرائه (جبران خليل جبران)، (ميخائيل نعيمة)، (إيليا أبو ماضي)، "فقد ظهر أثر هؤلاء المهجريين في تفكير الشابي وأدبه منذ دراسته الأولى، فقد أكثر من قراءة أدبهم وهو دون الخامسة عشرة من عمره، فتزاحمت العمليات الذهنية عنده، فأجاد تصوير ألوان رائعة من الخيالات والأحلام، فقلدهم في آدابهم وفي سلوكاتهم"<sup>3</sup>، فاللقاء بين الشابي والثقافة الغربية تم بتأثره

1- يوسف عطا الطريفي، أبو القاسم الشابي حياته وشعره، ص:34.

2- أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، ص:43.

3- يوسف عطا الطريفي، المرجع نفسه، ص:24.

مع رفيقه الحليوي والبشروش، بهؤلاء الأدباء العرب الذين تأثروا بالثقافة الغربية، وسعوا إلى إطلاع الناس عليها، يقول الحليوي في مقدمة «رسائل الشابي»: «وكنّا في ذلك الوقت قد بدأنا نكتشف العقاد في كتابيه «الفصول» و«المطالعات»، والمازني في كتابه «حصاد الهشيم»، وميخائيل نعيمة في «الغريبال»، وجبران في «العواصف» و«الأجنحة منكسرة».... كما أن جبران أغرى الشابي بالبحث عن الأدب الرومانتيكي المترجم للعربية...<sup>1</sup>».

فأدب شعراء المهجر قد مكّنه من الإطلاع على البيئة الغربية، والتعرّف عليها من خلال كتابات الشعراء العرب الذين انغمسوا في طبيعتها الساحرة الخلابّة؛ فشغف بهذا الأدب ليستأسره أسلوب جبران خاصة، فكانت النزعة الجبرانية واضحة في تعابيره وخياله<sup>2</sup>، فهو في هذا تلميذ جبران الذي تأثر به فحمل أفكاره وتبّى آراءه في رؤيته لجوانب الحياة وخفاياها. حيث قامت "فلسفة جبران في حياته على الحبّ والحريّة والتّمرد والتأمل في الوجود، هذه العناصر التي شكّلت مضمونه الأدبي التي تنبثق عنها رؤية الحياة في المشرق، وحددت أهدافه في الحياة المشرقية التي كانت غارقة آنذاك تحت وطأة الجمود، والتخلّف عن الرّكب الحضاري بعوامل استعمارية، فظهر كالثورة العاصفة في أدبه، داعياً إلى النهوض؛ كونه يرى أنّ أبناء وطنه يعيشون في الماضي"<sup>3</sup>.

هذا هو الحال عند الشابي الذي حثّ قومه على النهوض والاستمرار في الحياة، فشعراء المهجر ظلّوا على اتصال بالعالم القديم "الذي تركوه يئنّ ويعاني آلام الظلم والقسوة والاضطهاد، فظلّوا يحسّون آلامه، ويشعرون بأحزانه، وتهمهم حوادثه وأحداثه"<sup>4</sup>؛ فأحسّوا في أعماق قلوبهم بحاجة شديدة إلى التعبير عمّا يختلج أنفسهم، بحرقة قلوبهم لأبناء وطنهم الجريح؛ فهذا (جبران) أتهم

1- فؤاد القرقرى، أهم مظاهر الرومانطيقية في الأدب العربي الحديث وأهم مؤثراته الأجنبية فيها، الدار العربية للكتاب، (د.ط)، جوان 1988، ص: 29.

2- نادرة جميل سراج، شعراء الرابطة القلمية - دراسات في شعر المهجر -، دار المعارف، مصر، (د.ط)، 1964، ص: 95.

3- يوسف عطا الطريفي، أبو القاسم الشابي حياته وشعره، ص: 81.

4- ينظر: نادرة جميل سراج، شعراء الرابطة القلمية - دراسات في شعر المهجر -، ص: 69.

"بالخروج عن الدين، عندما تمرّد على الكهنة والرّجعية الدّينيّة، فقد كان يرى أنّ الكهانة هي الحرفة الأولى التي ابتدعها الإنسان بدون حاجة حيويّة أو داع طبيعي لها"<sup>1</sup>. وهذا الشّابي نتيجة تأثره وإعجابه الكبير بقصائده أهم هو الثّاني "بالتّطرف ومحاربة الكنيسة"<sup>2</sup>. هذا كان نتيجة تأثره بأدب هؤلاء المهجريين؛ وهو في سنّ خطيرة في التفكير والسلوك والعادات، إذ تتزاحم في ذهنيّة الناشئ صور غريبة جامحة لا قيود لها، ساجحة في سماء الحرّية .

ولإيضاح الأدب المهجري في أدب الشّابي، نذكر بعض المواضيع التي تأثر بها الشاعر الكبير، يقول عن النور والضياء في الحياة :

وَمَنْ نَاجَتْ النُّورَ أَحْلَامُهُ يُبَارِكُهُ النُّورَ أُنِّي ظَهَرَ<sup>3</sup>

فالشّابي في هذا البيت جعل النور مباركا للإنسان حيثما وجد، مستعملا أقوى تعبير وأصدق عاطفة وأعمق خيالاً، فكانت هذه تجربته الشعريّة التي ميّزته عن جبران حين قال في نفس الموضوع:

وَمَنْ يَهْوَى النُّورَ فَالنُّورَ يَهْوَاهُ<sup>4</sup>.

فجبران قد تفرّد في قوّة الإيحاء، وبساطة التّعبير والانفعال الحاد، وصدق الشّعور وانتزاع صورته من الطّبيعة. وهذا الشّابي يقول أيضاً: "أضاع الرّشاد في ملعب الجنّ فيا يؤسه أصيب بمسّ"، فقد قالها الشّابي متأثراً بجبران حين أوما رهط من الشّيوخ قائلين: "هو مجنون أضاع صوابه في مسارح الجنّ والغيلان"<sup>5</sup>.

أمّا عن السعادة التي يحلم كلّ فرد في تحقيقها، يقول جبران :

"وَمَا السَّعَادَةُ فِي الدُّنْيَا سِوَى شَبْحٍ يُرْجَى فَإِنْ صَارَ جَمًّا مَلَأَ البَشْرُ"

1- يوسف عطا الطريفي، أبو القاسم الشّابي حياته وشعره، ص:82.

2- نسيب النيشاوي، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبيّة في الشعر المعاصر، ص:284.

3- حنا الفاحوري، تاريخ الأدب في المغرب العربي، ص:588.

4- يوسف عطا الطريفي، أبو القاسم الشّابي حياته وشعره، ص:83.

5- المرجع نفسه، ص:83.

ويقول الشابي :

وَمَا السَّعَادَةُ فِي الدُّنْيَا سِوَى حُلْمٍ نَاءٍ تُضْحِي لَهُ أَيَّامَهَا الأُمَّمُ

إنَّ الصِّدْرَ فِي البَيْتَيْنِ وَاحِدَ لَفْظًا وَمَعْنَى، بِاسْتِثْنَاءِ تَغْيِيرِ طَفِيفٍ فِي اللَّفْظِ الأَخِيرِ الَّذِي لَمْ يَغْيِرْ مِنَ المَعْنَى شَيْئًا، فَجَبْرَانٌ يَرَى أَنَّ السَّعَادَةَ فِكْرَةٌ فِي أَذْهَانِ البَشَرِ، وَشَبَحَا تَرْجُوهُ بِاشْتِيَاقٍ دَائِمٍ، فَإِنْ أَدْرَكَتْهُ بَعْدَ طَوِيلِ عِنَاءٍ وَجْهَدٍ مَرٍّ، مَلَّتْهُ وَرَغِبَتْ عَنْهُ جَادَّةٌ فِي سَبِيلِ غَيْرِهِ مِنَ الأَشْبَاحِ، يَقُولُ أَيْضًا:

كَالنَّهْرِ يَرْكُضُ نَحْوَ السَّهْلِ مُكْتَدِحًا حَتَّى إِذَا جَاءَهُ يُبْطِئُ وَيَعْتَكِرُ

لَمْ يُسْعِدِ النَّاسَ إِلاَّ فِي تَشْوُقِهِمْ إِلَى المِينِيعِ فَإِنْ صَارُوا بِهِ فَتَرُوا

فَإِنْ لَقِيتَ سَعِيدًا وَهُوَ مُنْصَرِفٌ إِلَى المِينِيعِ فَقُلْ: فِي خَلْقِهِ العِبْرُ

السَّعَادَةُ كَالنَّهْرِ يَكْدَحُ مَسْرَعًا نَحْوَ غَايَتِهِ، حَتَّى إِذَا أَشْرَفَ عَلَيْهَا تَوَانِي وَتَكَاسَلَ، فَالنَّاسُ عِنْدَهُ لَا يَسْتَشْعِرُونَ السَّعَادَةَ وَلَا يَتَحَسَّسُونَهَا إِلاَّ إِذَا تَشَوَّقَهُمُ القَمَمُ وَتَغْرِيهِمُ المَطَامِحُ، فَإِذَا نَالُوهَا وَأَشْرَفُوا عَلَيْهَا أَصَابَهُمُ المَلَلُ<sup>1</sup>. يَقُولُ أَبُو القَاسِمِ :

تَرْجُو السَّعَادَةَ يَا قَلْبِي وَلَوْ وُجِدَتْ فِي الكَوْنِ لَمْ يَشْتَغِلْ حُزْنٌ وَلَا أَلَمٌ

وَلَا اسْتَحَالَتْ حَيَاةُ النَّاسِ أَجْمَعُهَا وَزَلْزَلَتْ هَاتِهِ الأَكْوَانُ وَالنُّظْمُ

2

فَمَا السَّعَادَةُ فِي الدُّنْيَا سِوَى حُلْمٍ نَاءٍ تُضْحِي لَهُ أَيَّامَهَا الأُمَّمُ

يرى الشابي أَنَّ النَّاسَ لَا يَشْعُرُونَ بِالسَّعَادَةِ وَلَا يَحْسُونَهَا إِلاَّ بِمَشِيئَةِ الدُّنْيَا، وَامْتِثَالَهَا لِقَضَائِهَا وَأَحْكَامِهَا، إِذْ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِنْ تَأَلَّمِ فَرْحَمٍ، أَوْ تَجَلَّدِ فَرْجَمٍ، وَهَذِهِ سَعَادَةُ النَّاسِ الَّتِي لَا يَدْرِكُهَا سِوَى رَجُلٍ تَبَسَّمَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَأَتَتْهُ كَمَا تَرِيدُ .

1\_ أبو القاسم محمد كرو، الشابي حياته وشعره، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت\_لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص 47\_ 48.

2\_ يوسف عطا الطريفي ، أبو القاسم الشابي حياته وشعره، ص:286.

قال الشيخ ابن عاشور: "وجد الشابي من شعر جبران خير رائد له في هذا الطريق، ومساعد على سلوكه، فتعلق به حتى تخرج على منهجه، وامتزج بروحه فأتى بتأملاته العجيبة العميقة في العواطف الإنسانية وأسرارها والوجود وحقائقه، وأظهر التلاقي المتحقق في ذاته بين الحياة المودعة والموت المتوقع، فمزج الحياة بالموت، وركب من مزجها وحدة الوجود"<sup>1</sup>.

إلى جانب التأثير المهجري، نجد تأثيراً آخر كان له في شعر الشابي أصداء بعيدة، ألا وهو شعر الرومانطيقية الأوربية، الحافل بالألم والقلق والدكريات والحنين المتدفق حزناً وفرحاً، الغارق في بحر من التأمل، لنتمس نفساً جياشة من العواطف، تحاول أن تجمع ما بين العصف الجبراني واللين الرومانطيسي. فهذا الشابي مع «ألفرد دي موسه»، يجعل من الدموع دواء الحياة يطهر جوانبها من كل غش؛ فيقول:

طَهَّرْ كَلُومَكَ بِالْذُّمُوعِ ، وَخَلِّهَا وَسَيْلَهَا  
إِنَّ الْمَدَامِعَ لَا تُضِيعُ حَقِيرَهَا وَجَلِيلَهَا ...

فالكآبة والحزن لا حدود لهما في نفس الشاعر؛ وتفهم للحياة بمذاهب تتصارع فيها الثورة واليأس، والأمل والألم بعيداً عن الرؤيا بإنسانية تفيض بالمشاعر.

#### 4-الشابي والأدب الغربي من خلال الترجمات :

قد ساعدت النهضة الصحافية في حركة الترجمة، من الآداب الأجنبية المختلفة وخاصة الأديين الفرنسي والإنجليزي، ولا سيما في الميدان الروائي، تقول (لطيفة الزيات) الدارسة لحركة الترجمة من الإنجليزية إلى العربية حتى سنة 1925: "إنَّ أغلب ما ترجمناه من الروايات كان من نتاج العصر الرومانسي في الأدب الأوروبي"<sup>3</sup>.

1- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب في المغرب العربي، ص: 553.

2- المرجع نفسه، ص: 551.

3- ينظر: فؤاد القرقوري، أهم مظاهر الرومانطيقية في الأدب العربي الحديث وأهم مؤثراته الأجنبية فيها، ص: 29.

والشّابي شاعر مليء بالحياة وحبّ المطالعة وشغفها، فمطالعتة لم تقف إلى حدّ الكتب العربية وإنّما تجاوزت ذلك إلى الآداب الأجنبية؛ "فالظّروف التي واكبها قد هيّأت له-من خلال الترجمات- أن يتّلع على جوانب وآفاق في التّجربة الشّعريّة الغربيّة"<sup>1</sup>.

علاقة الشّابي بالرّومانتيكيّة الغربيّة كانت بواسطة التّرجمة، حيث نجد في «مذكرات الشّابي» وفي «رسائل الشّابي» اعترافات صريحة له، يشير فيها أنّه كان مولعا بمطالعة آثار الرّومانتيكيّة الغربيّة المترجمة إلى العربيّة، حسب ما دونه في إحدى مذكراته: "كان الوقت أصيلا والشمس تلقي على أشجار بلفريد حلّة ذهبيّة ساحرة... وفي يميني كتاب «رافايل» الذي رسم فيه (لامرتين) صورة من شبابه الزّاهر بالعواطف والأحلام"<sup>2</sup>.

هكذا كان اطلاع الشّابي على الرّومانتيكيّة الغربيّة وبخاصّة الفرنسيّة، واستكشف أعلامها ورؤاها أمثال: لامارتين، هوجو، فيني، دي موسيه، سانت بيف.....

مما لا شكّ فيه أنّ الشّابي كان له صديقان: «الحليوي» و «البشروش»، وهذا ما مكّنه أيضا من الإطّلاع على خصائص الأدب الفرنسي، كونهما يتقنان اللّغة الفرنسيّة ويتجمّانها؛ وأمّا الحليوي فقد كان له الفضل الأكبر في إطلاعه على الأدب الفرنسي، ويعبّر الشّابي عن هذا في إحدى رسائله له، قائلا: "أحييك وأهنئك، بالنظر لما أثارت في نفسي من لذة وإعجاب، ولما أدركت فيه من دقّة واستيعاب، وإلاّ فإنّني لا أعرف الأدب الفرانساوي كما تعلم. حتّى أقول لك أنّك وفقت كلّ التّوفيق في الإحاطة والدّرس والاستنتاج، وإن كنت أشعر أنّك كذلك، فإنّ ما طالعت من دراسات عن هذا الأدب يسمح بأن أقول هذا القول"<sup>3</sup>. فهذا الصّديق المثقّف لم ييخل على الشّابي بأيّ فكرة اقتبسها وتعلّمها من الأدباء الفرنسيين، فراح يترجم أدبهم باللّغة العربيّة التي يتقنها الشعراء العرب.

1-الدكتور عبد المجيد الحر، أبو القاسم الشّابي - كوكب السحر-، الدار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1995، ص: 66.

2-فؤاد القرقوري، أهم مظاهر الرّومانتيكيّة في الأدب العربي الحديث وأهم مؤثراته الأجنبيّة فيها، ص: 73.

3-أبو القاسم الشّابي، الأعمال الكاملة الرسائل، الدار التونسيّة للنشر، تونس، (د.ط)، 1984، ص: 48.

والشّابي واحد من شعراء العرب ذو الثّقافة العربيّة الصرف، فقراءاته معظمها كانت لعيون الشعر والنقد الأدبي العربي مثل «الأغاني» و«الكامل» وغيرها من الكتب العربيّة، وهذا ما جاء في رسالة بعث بها إلى صديقه الحليوي معترفاً له فيها بعدم إتقانه للغات الأجنبيّة الغربيّة: "نسيت أن أذكر لك أنّ مما طلب مني أبو شادي في رسالته الثّانية، أن أمده من حين لآخر ببعض الدّراسات والأبحاث، وعلى الخصوص في الأدب الفرنسي، فصاحبنا يعتقد أنّي أعرف بالأدب الأجنبي ولذلك يطلب من هذا الطّلب، وإنّه ليحزّ في قلبي يا صديقي، ويدمي نفسي أن أعلم أنني عاجز عاجز، وأني لا أستطيع أن أطير في عالم الأدب إلاّ بجناح واحد منتوف"<sup>1</sup>. هكذا كانت القراءة لعمالقة الأدب الغربي عند الشّابي، فصقلت الموهبة وغدّى الفكر والعقل، وعبر عن أحلى قصائد شعريّة كانت فيها تجربة ذاتيّة.

فهذا الشّابي لا ينكر تأثره بالأدب الأجنبيّة، و التّرجمة وما أضفت عليه من سعة الخيال وجموح العاطفة، يقول: "والحقّ أنّه قد أصبح من العسير على الأديب العربي المعاصر أن يعصم نفسه من التّأثر بالأدب الأجنبيّة، فهو لا بدّ أن يتأثر بهذه الروح، ولو تأثراً لا شعورياً، مهما تكن ثقافته الخالصة في عروبته، ومهما يكن غالباً في التّشجيع لأنصار القديم، ما ذاك إلاّ لشيوع التّرجمة والنّقل عن الآداب الأجنبيّة شيوعاً لم يعرفه تاريخ الأدب في عصر من عصوره"<sup>2</sup>. هذا كان اعتراف الشّابي على واقع الأدب العربي في عصره الذي كان فيه الشّاعر مقلداً أكثر منه مجدداً .

---

1-فؤاد القرقوري، أهم مظاهر الرومانطيقية في الأدب العربي الحديث وأهم مؤثراته الأجنبيّة فيها، ص:72.

2-المرجع نفسه، ص100.

## المبحث الثاني: موقف الشّابي من الإتياع والمرجعية الشعريّة القديمة:

كّبت الكلاسيكيّة عواطف ومشاعر الشاعر بقيد الماضي في تحديد موضوعاتها، وطريقة معالجتها لها فكانت جامدة لا حياة لها، هذا ما قاله الشّابي عن التّقليد وإتياع أسلاف الشّعراء: "ما هذا التّمسك بالقديم والجمود عليه، قد حفيت الأقلام في إفهامهم معنى الشّعر وموضوعه؟ وما هذا التّشابه الأليم بينهم في الرّوح والمنزع والخيال؟، فلنا أن نجالسهم ونتحدّث إليهم، فإنّ لكلّ ملاحظه وصفاته وأسلوبه الخاص في فهم الأشياء، وطريقته الفريدة في الإثارة والنظرة والحديث؛ ثمّ نفارقهم ونرجع إلى أشعارهم، فنلتمس تلك الفروق الواضحة التي كُنّا نشاهدها وهم يتحدّثون فإذا الملامح متشابهة والأساليب متقاربة، والأرواح متماثلة كأنّها منتسخة من أصل واحد مخبوء في عالم الغيب، إلّا فروقا خافتة لا تكاد تبين، بحيث لو ألقيت إلى النّاقذ مجموعة من شعر هؤلاء مجردة من أسمائهم، لأعجزه مهما أمهر نفسه أن يردّ كلّ شعر إلى قائله، لأنّك لا تجد للواحد منهم أسلوبا ولا روحا ولا لونا من ألوان يمتاز به عن غيره، كما يمتاز بملامح وجهه ونبرات صوته وطريقة فهمه وحديثه، الحقيقة أنّهم مازالوا بعيدين عن الحياة في فنّهم حياة رفيعة سامية، والاندماج فيها؛ بل ما لهم من روح وحسّ وتفكير و خيال حتى يتطّبع شعر كلّ واحد منهم بطابعه الخاص؛ الذي لا يشاركه فيه أحد"<sup>1</sup>. فهو في هذا متأثر بمفاهيم مدرسة الدّيونان، وخاصة العقاد فكان ساخطا منكرا على الشعراء المعاصرين له، إنعدام المسحة الدّاتية في أشعارهم، داعيا إلى الوجدان الدّاتي الذي يضفي لمسة إبداعية؛ هته الأخيرة التي لا تتمّ إلّا بالتّخطي و التجاوز للقديم .

يقول صلاح الدين عبد التّواب في كتابه «مدارس الشّعر العربي في العصر الحديث»: "وكان طبيعيا أن يكون الأدب بعامة، والشّعر المتداول على ألسنة الشّعراء في تلك الفترة بوجه خاص من ذلك النوع الذي يحتذى فيه بشعر السّابقين من حيث الموضوعات و الأساليب والمعاني والأخيلة، مع

1\_ عبد المجيد الحر، أبو القاسم الشّابي "كوكب السحر" دار الكتاب العلمية، بيروت\_ لبنان، ط 1، 1995، ص: 131\_132.

تفاوت الشعراء في التقليد والاحتذاء، تبعاً لمواهبهم وشخصياتهم من ناحية، وتأثراً من حالة الضعف التي كانت تنتاب البلاد من ناحية أخرى<sup>1</sup>.

هكذا كان حال الشعر والشعراء في تقليد وإتباع السلف في المواضيع الشعرية. فقد خاطب الشّابي دعاة التقليد وحمّاة الثّبات الرّافضين للرّسالة الجديدة، والذين آثروا الجمود والانغلاق على أنفسهم خوفاً على المكانة التي كسبوها عن طريق الدّسّ والتّضليل والتّزوير، فالشّابي وبمعيّة رفقاءه الذين ساندوه حاول البحث عن فكرة شاملة حول الفنّ والحياة، يقول في إحدى رسائله للحليوي: "لنتحمّل يا صديقي كلّ شيء في سبيل النهوض بتونس وآدابها مادمنّا، إنّما نجاهد لإحياء الوطن والرّفيع من شأنه بين الشّعوب"<sup>2</sup>، ليحقّق هدفه بإيقاظ أحاسيس الشّعب نحو التّقادم الحضاري والرّقّي الفني كونها تعلمّ الناس روح الحياة ومحبّة القوّة والحقّ والجمال .

هكذا تطلّع الشّابي إلى مستويات جديدة في الفنّ لإيقاظ الإحساس العربي، ويطلعه بما يجري في الكون؛ وأن لا يغفل أبداً عن أسرار الحياة وهمسات قلبها، وكلّ ما يدور فيها حتى ولو كان في الظلّ بعيداً عن الأضواء. فالشّابي أخذ جانب المجدّدين المتحرّرين، فقد كان شاباً موهوباً محسّساً بالحياة إحساساً قويّاً، مدركاً للقوالب الجامدة التي تعيق التّعبير الصحيح عن إحساسه الجديد، فقد مثّل في عهده ثورة فكريّة عارمة وصاحبة تجاوزت تونس إلى العالم العربي

---

1\_ صلاح الدين عبد التّوّاب، مدارس الشّعر العربي في العشر الحديث، دار الكتاب الحديث، (د.ط)، 2005م، ص29.

2\_ أبو القاسم الشّابي، الأعمال الكاملة الرسائل، ص93.

التجربة الشعريّة لدى أبي القاسم

الشّابي بين الإتيّباع والإبداع

## المبحث الأول: التجديد و الإبداع:

### 1\_ حركة التّجديد في الشعر العربي المعاصر:

في الوقت الذي كانت فيه الكلاسيكيّة تصعد لتهيمن على الشعر العربي المعاصر، أخذت تتبلور في النزعة الرومانسيّة كأتجاه جديد، لتعارض الكلاسيكيّة، وقد مثلها عدد بارز من الشعراء أمثال: (أبو القاسم الشابي، إبراهيم ناجي، علي محمود طه ، وغيرهم من شعراء المهجر). هذه الرومانسيّة ليست ثورة مطلقة على الكلاسيكيّة، فرغم نزعتها التّجديديّة القويّة التي عبّرت عنها في نماذج شعريّة كثيرة حملت مظاهرها وتوجّهاها؛ فإنّنا نلاحظ إبقاءها على بعض الأبعاد التّقليديّة، كالأوزان الخليليّة التي ظلّت سائدة فيها. فالرومانسيّة أو ما يسمّى وضع «الأنا» متعمّقة في النزعة النّرجسيّة الفرديّة، التي تعبّر عن مشاعر القلق والتّشاؤم، ومحاولة الاستمتاع بجمال الطّبيعة المرأة، والإحساس بالتناقض بين الرّغبات الدّاخلية وبين العالم الخارجي. وقد ضاق الرومانسيون ذرعا بالقيود التي تحدّ من حرّيّة الكاتب وتمحو شخصيته، "ففسحوا أمامهم مجال الخلق الأدبي، محطّمين القواعد الكلاسيكيّة، ناعين على الشعراء الكلاسيكيين، خضوعهم لما تخضع له العبقرية، غير مؤمنين بسوى الفرد وما رزق من حرّيّة وموهبة"<sup>1</sup>. فهي تأمل عميق بالفكر والشّعور معا، ونظرة سامية إلى الحياة ساعية نحو الكفاح، تؤمن بالعقل والرّوح وخلودها، فهي تدعو إلى السّلام والإخاء والمحبة التي تؤمن بالإنسانيّة. وظاهرة الشعر الحديث عبارة عن محاولة للتّمرد على تقاليد الشعر القديم الذي له من العمر مالا يقل عن خمسة عشرة قرن ، هذا إذا افترضنا أنّ الشعر الجاهلي كما نعرفه هو نقطة البداية، فهذه الفترة خلّفت تراثا شعريا ضخما بحيث يمكن أن يكون دافعا لأية محاولة تجديدية، كما يمكن أن يكون معرقلا لها، فالمطلوب من الشعر العربي الحديث أن لا يكون مجرد ظاهرة محدودة ومعزولة في إطار معاناة لواقع اجتماعي و ثقافي وسياسي، بل أن يكون نافذة مفتوحة على واقع

1. محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية، ص:229.

الحياة العربية. فظهور الحركات التجديدية أثرت على حركة الثقافة وحركة النضال السياسي، هذا ما دفع حركة الشعر العربي نحو التجديد والحداثة في النصف الأول من القرن العشرين.

## 2\_ تعريف الإبداع:

لغة: " بدع الشيء يبدعه بدعًا، وابتدعه: أنشأه و أبدأه، وهو الإتيان بالبديع والبديع: المحدث العجيب. المبدع: الشيء الذي يكون أو لا"<sup>1</sup>.

من خلال التعريف المعجمي لابن منظور، نستنتج أنّ الإبداع يستوجب الجديد الخارج عن المؤلف غير المتوقع، والذي يسير على غير مثال، وإلاّ لم تنطبق التسمية عليه. ولإبداع مترادفات تحمل معناه، لا نستطيع التفريق بينها وبينه، نحو الابتداء، الابتكار، الاختراع، كونها متقاربة في الدلالة .

أما ابن رشيق يقول محاولاً التفريق بين الإبداع والابتكار: " الفرق بين الإبداع و الاختراع . وإن كان معناهما في العربية واحد . أنّ الاختراع خلق المعاني التي لم يسبق إليها، والإتيان بما لم يكن منها قطّ، والإبداع إتيان الشاعر باللفظ المستظرف، الذي لم تجر العادة بمثله، لتسميته هذه التسمية حتى قيل: بديع، وإن كثر وتكرّر الإبداع فصار الاختراع للمعنى، والإبداع للفظ فإذا تمّ للشاعر أن يأتي بمعنى مخترع في لفظ بديع، فقد استولى على الأمد وحاز قصب السبق "<sup>2</sup>.

يجعل ابن رشيق كلاًّ منهما من سمات الشاعر، معناهما التوليد "فإذا لم يكن عند الشاعر توليد المعنى واختراعه، أو استطراف لفظ و ابتداعه، أو زيادة فيما أجحف غيره من المعاني، أو نقص ممّا أظاله سواء من الألفاظ، أو صرف معنى إلى وجه آخر. كان اسم الشاعر عليه مجازاً، لا حقيقة ولم يكن له إلاّ فضل الوزن "<sup>3</sup>.

1\_ ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، ط1، 2005، مادة بدع، 37/2.

2\_ ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد قرقران، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1988م، ص: 453.

3\_ المصدر نفسه، ص: 238.

يقول السيوطي أنّ (ابن أبي الأصبع)، قال: لم أر في الكلام مثل قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ...﴾<sup>1</sup>، "فإنّ فيها عشرين ضرباً من البديع"<sup>2</sup>. وأمّا الابتكار، يعني الإتيان بالجدید و بالشّیء لأول مرّة، وقد كان له في منظور النقد الأدبي العربي شأن عظیم.

---

1 - سورة هود، آية 44.

2 - جلال الدين السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة للنشر، ط1، 1429هـ\_2001م، ص324.

## المبحث الثاني :معالم الابداع في التجربة الشعرية عند الشابي :

### 1\_الطبيعة و سحر الغاب في شعر الشابي :

شعر الطبيعة قديم قدم الشعر، فالطبيعة ألهمت ومازالت تلهم الشعراء بمناظرها الخلابة، وتفنّن الشاعر في وصف مظاهرها ليس من أجل المتعة؛ وإنما لينقل مشاعره النفسية وانفعالاته الداخلية. والطبيعة كانت حاضرة وبقوة في شعر الشابي، ومركز اهتمامه تجلّى ذلك في انشغاله المبكر بها، واعتبارها منفذا له من المجتمع؛ الذي فقد فيه الطمأنينة والسعادة، "فكانت مظاهر الطبيعة كلّها حاضرة في شعره: الليل والنهار، والرّبيع والخريف، والأزهار والأنهار، والأضواء والنسيم والعمور والألوان، وكلّ حركة من حركات الطبيعة وتنقّس من تنفساتها"<sup>1</sup>. فالطبيعة عند الكلاسيكيين كانت طبيعة خرساء، صمّاء شبه فاقدة للحضور، في حين حاولت الرومانسية إنطاقها بأحوالها وهواجسها وأسرارها ونواياها وغاياتها .

فقد جعلها جبران في معظم أشعاره وأدبه ،حين قال: "لاح الفجر وارتحفت السكينة لمرور نسماته، وسال النور البنفسجيّ، بين دقائق الأثير، وابتسم الفضاء ابتسامة نائم لاح له في الحلم طيف حبيته"<sup>2</sup>. فالشابي الجبراني كان ذهابه إلى الغاب، كما قال : "أنا ما أردت الذهاب إلى بلفيدير إلاّ لأمتّع نفسي بتلك الطبيعة الجميلة الساحرة... ولكي أجلو عن نفسي ماران عليها من أقداء الاجتماع، وما علق بها من أباطيل الناس وأوهامهم، وظلال الجدران الكئيبة العابسة"<sup>3</sup>. فالطبيعة عند الرومانتيكي فرار من بيئته التي يحياها إلى بيئة أخرى يحياها بروحه، محلّقا فيها بخياله، حيث يجد متنقّسا عمّا ضاقه في بيئته الأصلية؛ التي لم يستطع تحمّلها. في قصيدة «صفحة من كتاب الدموع»، يتحدّث عن انسجام الطبيعة مع الإنسان، فيقول:

1\_إيليا الحاوي،الرومانسية في الشعر الغربي والعربي،دار الثقافة،بيروت،لبنان،ط2، 1983، ص:178.

2\_فؤاد القرقوري،أهم مظاهر الرومانطيقية في الأدب العربي الحديث وأهم مؤثراته الأجنبية فيها، ص:139.

3\_أبو القاسم الشابي،الأعمال الكاملة "المذكرات"، ص:18.

ويرى الأزهار، فيحسبها  
بسماتُ الحُبِّ تُؤادِدُهُ  
فَيَخَالُ الكَوْنَ يُنَاجِيهِ !  
وَبُحُومِ اللَّيْلِ تُضَاحِكُهُ !  
ويخال الوردَ يُدَاعِبُهُ  
وَيَرَى اليَبُوعَ، وَنَظْرَتُهُ  
وَنَسِيمُ الصُّبْحِ يَجْعُدُهُ<sup>1</sup>  
فَرِحًا، فَتُعَابِثُهُ يَدُهُ !...  
وَجَمَالُ العَالَمِ يُسَعِدُهُ !  
وَنَسِيمُ العَابِ يُطَارِدُهُ!

هذا دليل على حبِّ الإنسان للطبيعة، في وصفها ورسم لوحاتها، ومشاركتها للآلام والأحزان؛ التي يعاني منها الأديب أو الشاعر.

وفي الغاب يقضي الشاعر الزمن اليومي من حياته، بمستوياته الثلاثة (الصباح، المساء، الليل)، وهذا ما تبينه الآيات الآتية:

#### أ\_ الصباح:

فِي الصَّبَاحِ الجَمِيلِ يَشْدُو مَعَ الطَّيْرِ  
وَيَمْشِي فِي نَشْوَةِ المَتَحَسِّي  
نَافِحًا نَايَهُ حَوَالِيَهُ تَهْتَزُّ  
وَرُودُ الرَّيِّعِ مِنْ كُلِّ قَنَسِ  
شَعْرُهُ مُرْسَلٌ تُدَاعِبُهُ الرِّدِّ  
سُحَّ عَلَيَّ مَنَكِبِيهِ مِثْلَ الدَّمَقْسِ  
وَالطَّيُورُ الطَّرَابُ تَشْدُو حَوَّ  
لَهُ، وَتَلْعُو فِي الدَّوْحِ مِنْ كُلِّ جِنْسِ<sup>2</sup>

فهذه الفترة تمثل في نفس الشاعر مرحلة الانتشاء والفرح، فكل ما في الغاب يدعو إلى الانشراح، إذ يعيش مع عناصر الغاب بكل جوانحه، مهينًا نفسه لمعانقته، وربما هذا ما قصده في «الصباح الجديد»؛ بث من خلال أبياتها فرحة كبيرة، معبرة عن إيمان كبير بالحياة و الوجود بكثير من الأمل والتفاؤل، فيقول:

1\_ يوسف عطا الطريفي، أبو القاسم الشابي حياته وشعره، ص:245.

2\_ المرجع نفسه، ص:243.

أُسْكُنِي يَا جِرَاحُ	وَأُسْكُنِي يَا شُجُونُ
مَاتَ عَهْدُ التُّوَّاحِ	وَزَمَانُ الْجُنُونِ
وَأَدَبْتُ الْأَسَى	فِي جَمَالِ الْوُجُودِ
وَدَوَّحْتُ الْفُؤَادَ	وَاحَةً لِلنَّشِيدِ
وَفُؤَادِي الرَّحِيبِ	مَعْبُدٌ لِلْجَمَالِ
«الوداع الوداع	يا جبال الهُموم» <sup>1</sup>

ففي الصِّباح يبدأ يوم جديد مليء بالنشاط والحيوية، بقلب ينبض بالحياة وحبِّ جمال الوجود. فهو يتغنى بالجمال ويفرح بالوجود، إنَّه صباح يشرق في النَّفس ويغمرها بالبهاء والسَّعادة، صباح مفعم بالسَّحر، حيث يضع فيه حدًّا لجراحه الرُّوحية ويحقِّق له السَّعادة في العالم الآخر.

#### ب\_ المساء:

في المساء يتسرَّب الحزن و الأسى إلى نفس الشاعر، ويصبح أكثر استعدادا للتأمل، والنظر العميق إلى كلِّ ما يحيط به، ففكرة الخلود والانبعاث صارت كالحاجس الذي يقلق الشاعر في مساءلة المساء الذي يحيك وينذر بمجيء الظلِّمة التي تحرك مشاعر سلبية في الذات المستعمرة، يقول:

أَظَلَّ الْوُجُودَ الْمَسَاءَ الْحَزِينَ، وَفِي كَفِّهِ مَعْرِفٌ لَا يَبِينُ  
فِي تَعْرِهِ بَسَمَاتِ الشُّجُونِ، وَفِي طَرْفِهِ حَسْرَاتُ السِّنِينَ  
وَلَمَّا أَظَلَّ الْمَسَاءُ الْمَسَاءَ، وَأَسْكَرَ بِالْحُزْنِ رُوحَ الْوُجُودِ<sup>1</sup>

فالمساء عند الشابي، يضيف عليه مظاهر الحزن والكآبة والأسى، فهذه المظاهر وجدت عند جبران أيضا، حيث يقول: " إنَّ النَّفس الحزينة المتألِّمة، تجد راحة بانضمامها في نفس أخرى، تماثلها بالشعور... فرابطة الحزن أقوى من روابط الغبطة والسُّرور"<sup>2</sup>.

1\_أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، ص:230.

2-عبد المجيد الحر، كوكب السحر، ص50.

## ج- الليل:

الليل هو أفضل مراحل التأمل، لأنه المرحلة التي توافق نفس الشاعر؛ التي تنزع إلى الوحدة والإنفرد، وكما هو معروف منذ القديم؛ الليل ليل الهموم والأوجاع النفسية، يقول امرؤ القيس :

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ، أَلَا إِنجِلِ  
بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ  
فَيَا لَهُ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نَجْمَهُ  
بِأَمْرَاسٍ كِتَابٍ إِلَى صُمَّ جُنْدُلٍ<sup>1</sup>

فاستحالة سدول الليل في سدول الهمم، وامتزاج النفس بليل الطبيعة، ثم انتقاله من الطبيعة إلى النفس. وهذا الشابي يقول في «النبى المجهول» :

فَإِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ، وَأَمْسَتْ  
كَانَ فِي كَوْنِهِ الْجَمِيلِ، مُقِيمًا  
ظُلُمَاتِ الوُجُودِ فِي الأَرْضِ تُعْسِي  
يَسْأَلُ الكَوْنَ فِي خُشُوعٍ وَهَمْسٍ  
عَنْ مَصَبِّ الحَيَاةِ، أَيْنَ مَدَاهِ  
وَأَرِيحِ الوُزُودِ فِي كُلِّ وَادٍ  
وَصَمِيمِ الوُجُودِ أَيْنَ يُرْسِي  
وَنَشِيدِ الطُّيُورِ أَيْنَ تَمْسِي<sup>2</sup>

فليل الشاعر دائرة من الهواجس والمخاوف، يرى فيه نفسه الحزينة وقلبه المحطّم، وحياته المليئة بالأسى والأحزان. لا نستغرب أن يستغرق الشاعر في تأملاته في الليل، وتنهل على فكره مجموعة من الأسئلة حول الحياة والموت والمصير الذي يؤول إليه الكون. وهو عند الرومانسيين عالم من الوحدة والسكون والصمت، وتلاشي الحركة بمحو الحدود، والفوارق والوحي بالحرية والانطلاق نحو الهدوء الذي يبتغيه.

ومهما يكن فإنّ هروب الشابي إلى الطبيعة، "إنما يعزي بادئ ذي بدء إلى تغلب النزعة الفرديّة في

1- حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي ،ص:178.

2- أبو القاسم الشابي ،أغاني الحياة ،ص:145.

نفسه على حب الجماعة، إذ يتمنى أن ينفرد بوحده بعيدا عن البشر، صارفا عمره بين الجبال والغابات<sup>1</sup>. حين يقول :

لَيْتَ لِي أَنْ أَعِيشَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا      سَعِيدًا بِوَحْدَتِي وَأَنْفَرَادِي

وَأَصْرَفَ الْعُمَرَ فِي الْجِبَالِ وَفِي      الْعَابَاتِ بَيْنَ الصَّنَوْبَرِ الْمِيَادِ<sup>2</sup>

فهو ينعزل عن البقية، حيث الصفاء والنقاء والهدوء، حيث لا رفيق له سوى أحلامه وأوهامه وتخیلاته.

إنه الحلم الرومانسي الذي يعتزل الحياة الممسوخة، ويرتمي بين أحضان الطبيعة بعيدا عن ضوضاء المدينة. فالغاب في شعر الشابي جاء في صور صادقة المشاعر والأحاسيس والأفكار كثيفة صاخبة، فإذا كانت نفسه مشرقة بهيجة غنى بسعادة في شعره. واللَّيل حبيب الشعراء كونه سكونا يعيش فيه الشاعر بنفسه وأمانيه.

---

1\_ نسيب النيشاوي، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ص: 286.

2\_ أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، ص: 359.

## 2- الشوق إلى المرأة ومشاعر الحنين :

حظّ المرأة في الأدب الكلاسيكي انحصر في إطار الحسّ و المظاهر الماديّة، فقد نظر القدماء إلى المرأة نظرة دنيئة سافلة منحطّة، فلا يفهم من المرأة سوى أنّها جسد يشتهي، ومتعة من متع العيش الدنيء<sup>1</sup>.

فلم يحاول الشعراء فهم المرأة وما تحمله داخلها من روح جميلة وحنان وأمومة، وظلّت معاناة المرأة والحبّ في الأدب الكلاسيكي؛ معاناة صماء لا تستمرّ إلى درجة الخشوع والعبادة. كما هي عند الرومانسيين الذين أعطوا قيمة للمرأة والحبّ، حتى أنّهم جعلوها مقدّسة. فالحبّ أقوى و أقدم التجارب الرومانسية "يسعى الرومانسي خلاله إلى أن يعثر على حالة عليا، أو على نوع من تكامل الذات، والتّعفي من عاهات النقص والجزئيّة والقصور بين يدي الوجود"<sup>2</sup>. فالمرأة رمز الحبّ والحنان والعاطفة الحيّاشة بحيث إن غابت غاب الحبّ معها؛ فهي الأمّ والأخت والزوجة والحبّية... فكيف كانت مكانة المرأة في شعر الشّابي؟ وكيف كانت نظرتة إلى الحبّ؟

أجل لقد عاش الشّابي الحبّ وعناه كسائر البشر، ولكن بنوع من الحرمان والرّعب و القنوط، وهذا ما جعل نفسه مضطربة بليالي اليأس وصدّامات الغرام، أحبّ الشّاعر رفيقة طفولته وتغنى بحبّها العذري؛ إذ ماتت وهي مازالت في ريعان شبابها، هذا ما جعله يتغنى بالحبّ حتى آخر لحظة في حياته، غناء الذي يؤمن فيه أنّ الحبّ هو معنى الحياة، وظلّت المرأة التي يحبّها من صنع خياله، فهي امرأة مثالية تكوّنت من روح لا من جسد، جاءت خيرا مطلقا وحبّا روحيا شفافا، يسمو فوق نداء الغريزة. ولعل قصيدة «صلوات في هيكل الحبّ»، "مثالا لصورة المرأة الشّفاقة الرقيقة؛ وكأنّها جاءت من عالم آخر، ملائكي سحري لم يعرفه البشر"<sup>3</sup>، يقول فيها:

1- أبو القاسم الشّابي، الخيال الشعري عند العرب، ص:71.

2- إيليا الحاوي، الرومانسية في الشعر الغربي والعربي، ص:178.

3- يوسف عطا الطريفي، أبو القاسم الشّابي حياته وشعره، ص120.

عَذْبَةٌ أَنْتِ كَالطُّفُولَةِ كَالْأَحْلَامِ كَاللَّحْنِ، كَالصَّبَاحِ الْجَدِيدِ !  
كَالسَّمَاءِ الضَّحُوكِ، كَاللَّيْلَةِ الْقَمْرَاءِ كَالْوَرْدِ، كَابْتِسَامِ الْوَلِيدِ !

.....

يَالهَا مِنْ طَهَارَةٍ تَبَعَتْ التَّقْدِيرَ  
يَسَ فِي مُهْجَةِ الشَّقِيِّ الْعَنِيدِ!  
أُم مَلَكَ الْفِرْدَوْسِ جَاءَ إِلَى الْأَرْضِ ضِلُّ لِيُحْيِي رُوحَ السَّلَامِ الْعَهِيدِ !

.....

يَا ابْنَةَ النُّورِ إِنِّي أَنَا وَخَدِي مَنْ رَأَى فِيكَ رَوْعَةَ الْمُعْبُودِ !  
فَدَعِينِي أَعِيشُ فِي ظِلِّكَ الْعَذْبِ وَفِي قُرْبِ حُسْنِكَ الْمَشْهُودِ !  
عَيْشَةَ النَّاسِكِ الْبُتُولِ يُنَاجِي الرُّبَا فِي نَشْوَةِ الدُّهُولِ الشَّدِيدِ !

فالحبّ الذي ينشده الشّابي، ليس نزعة عاطفيّة يملئها القلب وترتاح لها النفس؛ وإتّما هو حبّ بلا جسد و لا ملامح، فهو صلاة وعبادة يستمدّ من الطبيعة كما يستمدّ من المرأة. "فقد وجد الرومانتيكي العربي في الحبّ حلا وجوديا لمأساته وارتقاء إلى ما كان يصبو إليه ويتوق<sup>2</sup>، كأنّ الحبّ هيكلي يصلي له فيه وعبادة ودين تمارس فيه طقوس العشق. فقد صوّر الشّابي المرأة تصويرا مثاليّا، فالتّور عندما يشعّ يبرأ محبوبته المثاليّة، وينسب لها التّألؤ ويشبّنها بظلّ الصّباح والسّماء الضّحوك والليلة القمراء. ونجد هذه الصورة في أنشودة «أيتها الحاملة بين العواصف»، حين يقول:

أَنْتِ كَالزَّهْرَةِ الْجَمِيلَةِ فِي الْغَابِ لَكِنْ مَا بَيْنَ شَوْكِ وَ دُودِ  
فَأَفْهَمِي النَّاسَ: إِنَّمَا النَّاسُ خَلَقُوا مُفْسِدًا فِي الْوُجُودِ غَيْرُ رَشِيدِ  
وَدَعِيهِمْ يَحْيُونَ فِي ظُلْمَةِ الْإِثْمِ وَعَيْشِي فِي طُهْرِكَ الْحَمُودِ  
كَالْمَلَائِكَةِ الْبَرِيَّةِ، كَالْوَرْدَةِ الْبَيْضَاءِ كَالْمَوْجِ فِي الْخِضَمِّ الْبَعِيدِ

1- أبو القاسم الشّابي، أغاني الحياة، ص: 179.

2- فؤاد القرقروري، أهم مظاهر الرومانطيقية في الأدب العربي الحديث وأهم مؤثراته الأجنبيّة فيها، ص: 155.

أَنْتِ تَحْتَ السَّمَاءِ رَوْحٌ جَمِيلٌ صَاغَهُ اللَّهُ مِنْ عَبِيرِ الْوُرُودِ

أَنْتِ لَمْ تُخَلِّقِي لِيُقَرَّبِكَ النَّاسُ وَلَكِنْ لِيُعْبَدِي مِنْ بَعِيدٍ<sup>1</sup>

كأنَّ محبوبته امرأة من الملائكة، مرسومة في مخيِّله، بإحساس وتصوير في يجمع القيم الإنسانية والمثل العليا، ممزوجة بالحب واستلهام الطبيعة في معاني وجدانية مغرقة في الغنائية، وهذا فضاء الرومانسية في مدار يتراوح بين الواقع والخيال، وتقاسم النفس الشاعرة الفيضة التي اتخذت من الحب لها والغناء معبدا. لكن المجتمع اعتبره كافرا وملحدا، وهاجموه هجوما لم يسبق له مثيل، يقول عز وجل في كتابه الحكيم: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ(223) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ(224)﴾<sup>2</sup>.

وتظلُّ العذارى غير المرثيات تظفن وتترأى في عالم الشابي السحري حين يلم به الحب. وللحب جدوله الذي كان موعدًا له مع الحبيب يرتشف منه الأحلام، ويصغي إلى أغاريد الحياة وأناشيد الخلود، وإلى العذارى تنشدن فيه أغاني الرُّوح، هذا ما قاله عن العذارى:

يَا عَذَارَى الْجَمَالِ، وَالْحُبِّ، وَالْأَحْلَامِ بَلْ يَا بَهَاءَ هَذَا الْوُجُودِ !

صَانَكُنَّ الْإِلَهَ مِنْ ظُلْمَةِ الرُّوحِ وَمَنْ ظَلَّهُ الضَّمِيرُ الْمُرِيدِ

خَلَقَ الْبُلْبُلَ الْجَمِيلَ لِيَشْدُوَ وَخَلَقْتُ لِلْعَرَامِ السَّعِيدِ<sup>3</sup>

بعد هذا ينقلنا الشاعر إلى حوار وصالي في قصيدتين رائعتين «الساحرة» و«تحت الغصون»، يروي لنا فيهما قصة فلسفته الجديدة على لسانه ولسان حبيبته، ففي "الساحرة نجد الشاعر غارقا في همومه، وحببته تحنو عليه، وتلقنه فلسفة جديدة هي فلسفة الحب والوصل التي تذوب فيها الدنيا وتتلاشى فيها الهموم، وبعد لأيٍ وتردد تغلب على الشاعر سكرة الحب، ويستبد به سحر الساحرة"<sup>4</sup>،

1- أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، ص: 220.

2- سورة الشعراء، الآية 224.

3- المصدر السابق، ص: 221.

4- يوسف عطا الطريفي، أبو القاسم الشابي حياته وشعره، ص 249.

يقول في السّاحرة :

فَرَمَاهَا بِنَظْرَةٍ غَشِيَتْهَا      سَكْرَةُ الْحُبِّ وَالْأَسَى وَغُيُومِهِ  
وَتَلَاهَا بِبَسْمَةٍ رَشَفَتْهَا      مِنْهُ سَكْرَانُهُ الشَّبَابِ رُؤُومِهِ  
وَالْتَقَتْ عِنْدَهَا الشَّفَاةُ وَعَنَّتْ      قَبْلَ أَجْفَلَتْ لَدَيْهَا هُمُومِهِ  
إِنَّ فِي الْمَرْأَةِ الْجَمِيلَةِ سِحْرًا      عَبْرِيًّا يُدْكِي الْأَسَى وَيُنْمِيهِ

1

فالمرأة في مخيلة الشاعر كأنها ساحرة تمسك بعضا سحرية، تلقي بها إلى المحبوب الموحوع والمتألم، لتزيح عن قلبه ما يتعبه من أحاسيس مفعمة بالمرارة والكآبة والألم والأسى، فيسقط في حبها ناسيا ألمه وأوجاعه.

أما قصيدة «تحت العصون» التي نظمها سنة قبل وفاته،" روى لنا حكاية خلوته بجبيته«في خمائل الغاب»، وروى لنا الحديث الذي توجه به إليها، ونعتها بأشهى النعوت، ثم سأها لمن تغني؟ فأجابت أنّ غنائها كان للصباب والمساء والعبير والربيع...<sup>2</sup>، ثمّ قالت :

«لِلزَّمانِ الَّذِي يُوشِحُ أَيَّامِي      بِضَوْءِ الْمَنَى وَظِلِّ الشُّجُونِ  
«لِلشَّبَابِ السَّكْرانِ، لِلأَمَلِ المَعْبُودِ      لِلْيَأْسِ، لِلأَسَى، لِلْمَنُونِ!»

فكان كلامها في نفس الشاعر صدى أليما، فقال:

فَتَنَهَّدْتُ ثُمَّ قُلْتُ:      «وَقَلْبِي مَنْ يُغْنِيهِ؟ مَنْ يُبِيدُ شُجُونِي؟»  
قَالَتْ:      «الْحُبُّ» ثُمَّ عَنَّتْ لِقَلْبِي      قُبْلًا عَبْرِيَّةَ التَّلْحِينِ

وَأَفَقْنَا، فَقُلْتُ كَالْحَالِ الْمَسْحُورِ:      قُولِي، تَكَلَّمِي، خَبِّرِي

أَيُّ دُنْيَا مَسْحُورَةٍ؟ أَيُّ رُؤْيَا      طَالَعْتَنِي فِي ضَوْءِ هَذِي الْعُيُونِ؟

1- أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، ص: 208.

2- يوسف عطا الطريفي، أبو القاسم الشابي حياته وشعره، ص: 249.

فَأَجَابَتْ... كُلُّهَا فِتْنَةٌ تُغْوِي وَتُغْرِي بِالْحُبِّ بَلْ بِالْجُنُونِ:

1

أَبَدًا أَنْتَ حَاكِمٌ... فَاسْأَلِ اللَّيْلَ فَعِنْدَ الظَّلَامِ عِلْمُ الْيَقِينِ

إنّ العمق الشعوري الذي تحول إلى حديث حافل بالطلاوة والجدّة والطرافة، "إنّ الإنسان المتألم الذي حاول أن يغرق أساه في لجة الحب"<sup>2</sup>.

والشّابي كغيره من الشعراء الرومانسيين، يمزج بين عاطفة الحب والطبيعة فيبصر محبوبته من خلالها، برسم صور تجمع بين المرأة والطبيعة؛ هكذا كانت نظرة الشّابي للمرأة، وكيف أنّ الحب مصدر إلهام الشاعر، فهو نور قدسيّ ونشوة روحية، والمرأة هي الكائن المانع الذي لا يكتمل الوجود إلّا بها، روح مشعة بالسحر تبعث حبّ الحياة ومعاقنها والتشبّث بها. فقد حاول في شعره أن يعبر عن ثورته العقلية عن وضع المرأة في المجتمع التونسي والعربي، فهو نظر إليها نظرة إنسانية؛ غير بها النظرة الحفيرة التي كانت عليها، ثمّ ثورته على الوضع الذي تعيشه في المجتمع آنذاك.

---

1- أبو القاسم الشّابي، أغاني الحياة، ص: 241.

2- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب في المغرب العربي، ص: 570.

### 3- الارتباط بالوطن والتوق إلى الحرية :

إنّ الأدب الرومانسي ثورة في إنصافه لليائسين و الضعفاء، من القيود الاجتماعية والسياسية، فالشاعر الحديث يشارك أمته آلامها وأحزانها ومجتمعه أيضا، فهو إنسان مناضل دون أجر؛ يدافع عن حرية الكلمة بحق، لا يقول الشعر لميل في نفسه أو فكرة تضطرب في ذهنه، أو خاطرة عنت له لا ليرضي حاكما أو ليكسب عطاء أو ينتظر جاها. وقد كانت البيئة التونسية لما عاشته من ظروف فرضها الواقع التاريخي في أمس الحاجة إلى من يأخذ بيدها، ويسمع صوتها ويدلّها على موضع الجرح حتى تبرأ وتستعيد عافيتها؛ يقول الشابي في «الدنيا الميتة»:

إِنِّي أَرَى ... فَأَرَى جُمُوعًا جَمَّةً لَكِنَّهَا نَحْيًا بِلَا أَلْبَابِ  
يَدْوِي حَوَالِيهَا الزَّمَانُ، كَأَنَّمَا يَدْوِي حَوَالِي جُنْدِلٍ وَتُرَابِ  
وَقَضَوْا عَلَى رُوحِ الْأُخُوَّةِ بَيْنَهُمْ جَهْلًا وَعَاشُوا عَيْشَةَ الْأَعْرَابِ  
وَالشَّاعِرُ الْمُوهُوبُ يُرْهِقُ فَتَنَهُ هَدْرًا عَلَى الْأَقْدَامِ وَالْأَعْتَابِ

1

برع الشاعر في هذه القصيدة في طرح المشكلات المؤلمة التي تشكل في حقيقتها مأساة الإنسانية جمعاء، في صراعها مع الفقر والبؤس والخوف و الاضطهاد، فبرع في تصوير معاناة شعبه الذي فقد إنسانيته وكرامته، وعاش في وطنه كمن يعيش بلاد منفيّة غريبة لا أصحاب ولا أحباب .  
رقّة الشاعر وإحساسه المفعم الفيّاض، الصادق بآلام المعذبين المقهورين والمحرومين، جعله يتوعّد الظالمين وينذرهم بسوء المصير، فراح في عالم أوجاعه وآلامه يطلق صوته ملتها، "ويذيب نفسه لتكون غذاء لنفوس بني قومه، وذلك أنّه مقتنع أنّ التّقدم والتّحرّر عمل إرادة شعبيّة التي هي ثمرة الوعي واليقظة"<sup>2</sup>. قال يوقظ قومه من غفلتهم :

البُؤْسُ لِابْنِ الشَّعْبِ يَأْكُلُ قَلْبَهُ وَالْمَجْدُ، وَالْإِنْرَاءُ لِلْأَعْرَابِ

1- أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، ص270.

2- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب في المغرب العربي، ص556.

وَالشَّعْبُ مَعْصُوبُ الْجُفُونِ، مُقْسَمٌ كَالشَّاةِ، بَيْنَ الذُّبِّ وَالْقَصَابِ  
وَالْحَقُّ مَقْطُوعُ اللِّسَانِ مُكَبَّلٌ وَالظُّلْمُ يَمْزُجُ مَذْهَبَ الْجِلْبَابِ

1

هَذَا قَلِيلٌ مِنْ حَيَاةٍ مُرَّةٍ فِي دَوْلَةِ الْأَنْصَابِ وَالْأَلْقَابِ

إنّ نفس الشّابي نفس تأبى الجمود والاستكانة للظلم والاستبداد لكافة أشكال الموت، ما جعله يهاب مصارعة تيار الأحداث التي اصطخب بها عصره؛ فالاستعمار سلط على الشعب القهر والظلم وألحق بالبيئة الفساد والتّمسّيح، وقام باستنزاف واستغلال خيرات البلاد، وهذا كان داعيا إلى الثورة وصبّ السّخط والحقد عليه، حيث ألمّ الشّابي رؤية شعبه الضّعيف يحترق بنيران المستعمر الوحشي.

هذا إحساس الرومانتيكيين العرب في أنّ المستعمر قد اغتصب أرضهم، ونهب خيراتها واستغل واضطهد شعبها، لذلك وجد الشّعر طريقا ملتصقا لمخاطبة شعبه النائم.

قال يحدّر الظالمين والطّغاة ويهدّدهم :

يَقُولُونَ: "صَوْتُ الْمُسْتَدِلِّينَ خَافَتْ وَسَمِعَ طُعَاةَ الْأَرْضِ (أَطْرَشُ) أَضْحَمٌ"

وَفِي صَيْحَةِ الشَّعْبِ الْمَسْخَرِ زَعَزَعٌ تَحْرُّ لَهَا شَمُّ الْعُرُوشِ، وَتُهُدْمٌ

لَكَ الْوَيْلُ يَا صَرَّحَ الْمَظَالِمِ مِنْ غَدٍ إِذَا نَهَضَ الْمُسْتَضْعَفُونَ وَصَمَّمُوا

2...!

إِذَا حَطَّمِ الْمُسْتَعْبِدُونَ قُبُودَهُمْ وَصَبُّوا حَمِيمَ السُّخْطِ أَيَّانَ تَعَلَّمَ

فهو يتوعّد الظالم المستبدّ "بالحرية التي اعتبرها الشّابي فعل حياة وتقدم، وحمية في طباع النفس وغريزة من غرائزها التي قد تستنيم وتهجع، وفي النهاية تستيقظ وتنفخ روحها في قلب الحياة وتؤدي رسالتها، وعندها لا بد للظالم أن يزول كما تزول قوى الظلمة والدّمار"<sup>3</sup>.

1- يوسف عطا الطريفي، أبو القاسم الشّابي حياته وشعره، ص289.

2- المرجع نفسه، ص189.

3- ينظر : إيليا الحاوي، الرومانسية في الشعر الغربي والعربي، ص205.

فالحياة الحرّة الكريمة حق لكل إنسان والاستكانة والاستسلام والتّوكل مطيّة الظلم والطّغيان،  
والفئة المتحكّمة برقاب التّاس إنّما تتحكّم بالسّوء والشّر، والشّابي تعاطف مع شعبه واضطلع بهموم  
تونس كلّها، ولم يغفل عن قضاياها فتوجه إلى الطّغاة لينذرهم بثورة عارمة تعيد كرامة الوطن .  
هكذا راح الشّابي يعالج مجتمعه ويدعو إلى التّهوض في شجاعة وطموح، وعندما أخفق في  
مسعاه ارتدّ على شعبه كالعاصفة الهوجاء وقال :

أَيُّهَا الشَّعْبُ لَيْتَنِي كُنْتُ حَطَّابًا فَأَهْوِي عَلَيَّ الْجُدُوعَ بِفَأْسِي  
لَيْتَنِي كُنْتُ كَالسُّيُولِ، إِذَا سَأَلْتُ تَهْدُ القُبُورَ رَمْسًا بِرَمْسِ  
لَيْتَ لِي قُوَّةَ العَوَاصِفِ، يَا شَعْبِي فَأُلْقِي إِلَيْكَ ثَوْرَةَ نَفْسِي  
لَيْتَ لِي قُوَّةَ الأَعَاصِيرِ... لَكِنْ أَنْتِ حَيٌّ يَقْضِي الحَيَاةَ بِرَمْسٍ<sup>1</sup>

الحطّاب يقطع بفأسه الأغصان اليابسة، والتي إذا أقامت في مكانها جعلت نصغ الشجرة  
يجف، واليئس يكسوها كلها فالرياح تسقط الأوراق الميتة والتّقليم، فهذه سنّة الطّبيعة والوجود، كذلك  
السّيل الجارف يهد البيوت أو عاصفة توقظ النفوس من سباتها ويعلمها معنى الحرّيّة الصّحيحة  
ليذهب إلى الغاب وحيدا يتلو على الطّيور أناشيده الحزينة قائلا :

مَا أَنَا ذَاهِبٌ إِلَى الغَابِ يَا شَعْبِي لِأَقْضِي الحَيَاةَ وَحْدِي بِفَأْسِي  
سَوْفَ أَتْلُو عَلَيَّ الطُّيُورَ أَنَا شَيْدِي وَأُقْضِي لَهَا بِأَحْزَانِ نَفْسِي  
فَهِيَ تَدْرِي مَعْنَى الحَيَاةِ وَتَدْرِي أَنَّ جَدَّ النُّفُوسِ يَقْطَعُ حِسًّا<sup>2</sup>

أمّا قصيدة «يا ابن أمي» يعود فيها الشّاعر إلى كوخ الطّبيعة، ويعايش الأزهار والفصول بعد  
أن يئس من خمول الشعب وقعوده عن التأمّل في معنى الحرّيّة؛ وخمل عن فهم حتميتها وصلتها بفعل

1- أبو القاسم الشّابي، أغاني الحياة، ص 145.

2- المصدر نفسه، ص 145.

الإنسان وسعادته وكرامته وغاية حياته. فالشّابي كان من رواد الحرّية في الشّرق، والحرّية تتولّد في النّفس من تحمل تبعاتها في التّعامل مع الوجود، ومن اعتبار الإنسان ذاته بداية لذاته ونهاية يخلده مجده بروحه"<sup>1</sup>، يقول في مطلعها :

خُلِقْتَ طَلِيقًا كَطَيْفِ النَّسِيمِ وَحُرًّا كَنُورِ الصُّحَى فِي سَمَاءِ  
تُعْرَدُ كَالطَّيْرِ أَيْنَ إِنْدَفَعْتَ وَتَشْدُو بِمَا شَاءَ وَحَيُّ الْإِلَهِ  
وَتَمْرُحُ بَيْنَ وُرُودِ الصَّبَاحِ وَتَنْعَمُ بِالنُّورِ أَنِّي تَرَاهُ  
وَتَمْشِي كَمَا شِئْتَ بَيْنَ المَرْجِ وَتَقْطِفُ وَرْدَ الرُّبَا فِي رَبَاهُ

2

هذه الحرّية عند الشّابي حرّيته في الطّبيعة التي لا تخضع لقوانين تقيدها، فألوان اللّوحات التي رسمها الشّاعر بلمساته الذاتية تعكس أحاسيسه التي عبر عنها في الطّبيعة أين وجد راحته .  
أمّا عن التّخلف والجهل فقد خاطب شعبه قائلاً:

يَا قَوْمِي                      ! عَيْنِي شَامِتٌ لِلْجَهْلِ فِي الْجَوْ نَارًا  
تَتَلُو سَحَابًا رُكَامًا      يَتَلُو قُتَامًا مُنَارًا  
تُلْقِي الشَّدِيدَ صَرِيحًا      تُلْقِي الْأَدِيبَ جَمَارًا  
نَبَذْتُمُ الْعِلْمَ نَبَذَ النَّوَى      قَلَى وَصِغَارًا  
لَبَسْتُمُ الْجَهْلَ ثَوْبًا      إِنْخَدَمْتُمُوهُ شِعَارًا  
يَا قَوْمُ مَا لِي أَرَاكُمْ      قَطَنْتُمُ الْجَهْلَ دَارًا ؟

1

فسبب بلاء الأّمة هو الجهل وعدم سعي شعبها نحو العلم والمعرفة، والشّابي يكره أن يرى شعبه خاملاً كسولاً جاهلاً ذليلاً، حيث كان الجهل يخيّم على النّاس ويملأها بالخرافات والخرعبلات

1-إيليا الحاوي ، الرومانسية في الشعر الغربي والعربي، ص205.

2-يوسف عطا الطريفي، أبو القاسم الضابي حياته وشعره، ص229.

3-أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، ص28.

ويصدّها عن طريق التّقدّم والنّهضة، فهبّ الأدباء يدعون إلى العلم، وسلّكوا إلى ذلك سبلا شتى وغايات نبيلة، "إحساس أحسنه حين لاحظ تخلف بيئته الثّقافية في زمن التّيّارات الفكرية والأدبية التّجديديّة في المشرق"<sup>1</sup>، فهي بيئة مقلّدة أكثر من مجدّدة؛ هذا ما اعترف به في رسالة بعث بها إلى صديقه محمد الحلبيّ يقول له: "أنه في بيئة ثقافيّة يشعر شعورا عميقا بالضّياع بين جامدين قد احتلّوا مكانا في الأدب، يجب أن يحتله الأحياء الذين يعرفون كيف ينفخون في الشّعب روح الحياة والذين يعلمونه محبة الحق والقوّة والجمال"<sup>2</sup>.

أبو القاسم كان يرى أن الفكر الأدبي في تونس لا بد له أن ينضج في حرّيّة الرّأي والتّفكير والاختراع في الأدب والابتكار، فالشّاعر "الرومانتيكي يتجاوز حدود عاطفته الفردية إلى مسائل اجتماعية عامة أو فلسفية"<sup>3</sup>.

والشّابي سخر حياته لمجتمعه فعمّق إحساسه بالحياة، ودفع بشعبه للنّهوض حتى يجي فيه حياة النّور والحرّيّة ويمزّق جدار الصّمّت والجمود؛ حيث رسم طريق الحرّيّة لشعبه وسائر شعوب العالم. هذا هو عمل الأديب في مجتمعه فهو إنسان مرهف الحسّ رقيق الشّعور، يحمل في أعماقه إنسان الفكر والعاطفة، فيرى الجهل والفقر والمرض والعادات الفاسدة والخرافات الكثيرة تنخر كيان المجتمع العربي؛ فتعوّقه على النّهوض فحمل رسالة الإصلاح وامتشق الكلمة حربا على الظلم والفساد. ليقوم بمحاضرات ومسامرات لنشر الكلمة الواعية وإيقاظ الضّمائر النّائمة، يقول في إحدى مذكراته "ذهبت أنا والأخ زين العابدين و الأخ مصطفى خريف مساء اليوم إلى التّادي الأدبي لإلقاء محاضرتي عن كتاب الأدب العربي في المغرب الأقصى"<sup>4</sup>. لكن هذا لم يكن له فائدة عند الشّعب التّونسي الذي لم

---

1- عبد المجيد الحر، كوكب السحر، ص72.

2- المرجع نفسه، ص71.

3- محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية، ص198.

4- أبو القاسم الشّابي، الاعمال الكاملة "المذكرات"، ص40.

يبالي؛ حيث أنكر العديد من الأدباء آراءه وأفكاره الجديدة والجريئة؛ فالشاعر باعتباره القلب  
النابض للأمة من أكثر المؤهلين للتعبير عن قضاياها وطموحاتها وأكثر المخولين لمعرفة ما يليق بها  
من إصلاحات حتى تحسن من أوضاعها وتتقدم إلى الأمام.

هذا هو الشعر في العصر الحديث، الذي شهد رواجاً كبيراً حيث تعرّض لمختلف جوانب  
الحياة ليخرجها من دائرة الاستغلال إلى حظيرة الحرية والإعتاق، فكانت الثورات العربية الإسلامية  
ومقاومة شعوبها ضدّ الاستعمار عاملاً مؤثراً في إيقاظ الوعي القومي والوطني، لينادي بالثورات  
ويحثّ عليها بكلّ فخر واعتزاز، فالشاعر الشاب يعمّق إحساسه بالحياة ويدفع بشعبه إلى النور  
والحرية، ويمزق جدران الصمت والجمود، ويبثّ في النفس حبّ العطاء، ويرسم طريق الحرية لشعبه  
ولكلّ شعب يعيش الاستبداد والعبودية.

#### 4\_ تأملات في الحياة والموت:

العرب في القديم لم تسترسل في تأمل الكون والوجود " ولم ينظموا شعرا لإرضاء أنفسهم المتعطشة إلى المعرفة، وضميرهم المعذب في متاهات الوجود، بل كانوا ينشدون لمناسبات آهتهم عن أنفسهم، على عكس الشاعر الحديث الذي ثار على شعر البلاطات والمناسبات"<sup>1</sup>. ومن خلال قراءتنا لشعر الشابي؛ وجدنا شعره لا يخرج عن إطار التأمل، وبخاصة بعد وفاة والده فهو الباعث القوي والأساس لتأملاته. فقد كان القدوة الحسنة في حياته، والرمز المثالي في سلوكه لتكون القصيدة الرثائية -قصيدة يا موت كما سبق وأشرنا -أولها وآخرها في حياته، فقد وجد في الغاب ما غدى نفسه بالتأمل؛ إذ اختزن في ذاكرته شعورا بالحيرة إزاء ما كان يرى ويشاهد ويسمع، بدءا بالامتداد الطبيعي الصحراوي الفسيح الذي لم يوله اهتماما أكثر من الطبيعة الغائبة، وهذا ما كتبه إلى صديقه محمد الحليوي قائلا: "...سأترك القلم لحظة لأمسح عن جبيني المندى بالعرق، وأوقظ ذاكرتي بما تملي جمال الصحراء الذي يمتد أيامي... وقد خيل لي أنه يفكر في ما وراء العالم الصّاحب الموارى... في معاني الفناء والموت والظلام"<sup>2</sup>.

فالفرة التي أعقبت وفاة الوالد شكّل التأمل فيها القطب الرئيسي، فأغلب القصائد التي أوردتها في الديوان بعد قصيدة «يا موت» هي قصائد في التأمل، يقول في «إلى الله»:

يَا إِلَهَ الْوُجُودِ                      ! هَذِهِ جِرَاحٌ فِي فُؤَادِي، تَشْكُو إِلَيْكَ الدَّوَاهِي

بِالْأَسَى، بِالسَّقَامِ، بِالْهَمِّ، بِالْوِ حَشَّةٍ، بِالْيَأْسِ، بِالشَّقَا الْمَتْنَاهِي

بِالْمَنَايَا تَعْتَالُ أَشْهَى أَمَائِي وَتَدْوِي مَحَاجِرِي، وَشِفَاهِي

فَذَا مَنْ أُحِبُّ حَفَنَةَ تُرْبٍ تَافِهِ، مِنْ تَرَائِبٍ وَجِبَاهِ

1- أدونيس، مقدمة الشعر العربي، دار العودة، بيروت، ط4، (د.ت)، ص20.

2- أبو القاسم الشابي، الأعمال الكاملة الرسائل، ص153.

وَإِذَا فِتْنَةُ الْحَيَاةِ وَسِحْرُ الْكَوْنِ ضَرَبَتْ مِنَ الْعَمَامِ الرَّاهِي

فهو يتأمل الكون متسائلا عن سر الوجود وموقفه من الروح والتنفس لعله يجد جوابا يروي عطشه، مخاطبا الروح التي تمدّه بالمعرفة فهذه نزعة رومانسية وجدانية تجري على نسق تجارب الصوفية التي تمد الإنسانية بالزاد والمثاليات المشرقة.

يقول في قصيدة «شجون» التي تعتبر تجربة ممتلئة بالتشاؤم في الحياة إلا أنها تدعو للتأمل في الكون وفهمه:

عَجَبًا لِي                      !أَوْدُ أَنْ أَفْهَمَ الْكَوْنَ                      وَنَفْسِي لَمْ تَسْتَطِعْ فَهْمَ نَفْسِي !  
 لَمْ أَفِدِ مِنْ حَقَائِقِ الْكَوْنِ إِلَّا                      أَنَّنِي فِي الْوُجُودِ مُرْتَادٌ رَمْسِي  
 كُلُّ دَهْرٍ يَمُرُّ يُفْجِعُ قَلْبِي                      لَيْتَ شِعْرِي                      !أَيْنَ الزَّمَانُ الْمُؤْسِي  
 وَالْفَضَاءُ الْأَصَمُّ يَتَعَسَّفُ النَّ                      سَ وَيَقْضِي مَا بَيْنَ سَيْفٍ وَقَوْسِ !  
 هَذِهِ صُورُ الْحَيَاةِ وَهَذَا                      لَوْئُهَا فِي الْوُجُودِ، مِنْ أَمْسٍ أَمْسِ 2

فقد طرح الشابي في هذه القصائد جملة من المسائل المتعلقة بمشكلكي الحياة والموت، وما يتفرع عنهما من قضايا وجودية كالفناء والخلود والكمال، ولعل قصيدة «حديث المقبرة» أكبر مثال في حكاية الموت وأمواج الحياة ورسوم الأيام. فالشابي يعلم أنّ الموت والفناء اللذين يصبان في الكون، يصبحان في الأخير خرابا فهي حقيقة إلهية وسنة ربانية، لكنه لا يتقبل ذلك بسهولة وهذا ما يعترف به قائلا:

كَبِيرٌ عَلَى النَّفْسِ هَذَا الْعَفَاءُ                      وَصَعْبٌ عَلَى الْقَلْبِ هَذَا الْهُمُودُ

لكن الخلود الذي يسعى الشاعر للظفر به يصبح سوءا؛ إذا كان هذا الخلود لا يعني الاستمرار

1- يوسف عطا الطريفي، أبو القاسم الشابي حياته وشعره، ص 236.

2- المرجع نفسه، ص 249.

3- أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، ص 198.

الأبدى للحياة وهذا ما توصل إليه في قوله:

تَبَرَّمْتُ بِالْعَيْشِ خَوْفَ الْفَنَاءِ وَلَوْ دُمْتُ حَيًّا سَمِئْتُ الْخُلُودَ  
وَعِشْتُ عَلَى الْأَرْضِ مِثْلَ الْجِبَالِ جَلِيلًا، رَهِيًّا، غَرِيًّا، وَحِيدًا  
فَلَمْ تَرْتَشِفْ مِنْ رُضَابِ الْحَيَاةِ وَلَمْ تَصْطَبِحْ مِنْ رَحِيقِ الْوُجُودِ  
وَلَمْ تَدْرِ مَا فِتْنَةُ الْكَائِنَاتِ وَمَا سِحْرُ ذَاكَ الرَّيِّعِ الْوَلِيدِ

1

يتضح أن الشابي مقتنع بأن الخلود هو الذي يكون ثمرة لهذا التكامل بين الحياة والموت والتأمل في أسرار الكون وحقائقه، فالخلود صراع متجدد متى انتهى حل الفناء بالكون، إذ يقول على لسان روح الفيلسوف:

تَأْمَلْ...، فَإِنَّ نِظَامَ الْحَيَاةِ نِظَامًا، دَقِيقًا، بَدِيعًا، فَرِيدًا

2

فَمَا حَبَّبَ الْعَيْشَ إِلَّا الْفَنَاءَ وَلَا زَانَهُ غَيْرَ خَوْفِ اللَّخُودِ

لكن أجوبة الفيلسوف تركت في نفسه الشك والحيرة فماذا بعد الخلود؟ فراح يسأل روح الفيلسوف التي ظن أنها قريبة منه:

وَلَكِنْ إِذَا مَا لَبِسْنَا الْخُلُودَ وَنَلْنَا كَمَالَ النُّفُوسِ الْبَعِيدِ

فَهَلْ نَمَلُّ دَوَامَ الْبَقَاءِ؟ وَهَلْ نَوَدُّ كَمَالًا جَدِيدًا؟

3

وَكَيفَ يَكُونُ هَذَا الْكَمَالُ مَاذَا تُرَاهُ؟ وَكَيفَ الْخُدُودُ؟

فالشابي لم يكن فيلسوفًا ولكنه كان شاعرًا رومانتيكيًا لا يملك إلا عاطفته الجياشة، وشعوره الفياض بشخصية رومانسية، تتوق إلى استكشاف المجهول تبحث عن الحقيقة في نفسه في ظل ضيق العالم؛ الذي يعيشه فتفكير الشابي ظل منصبًا على عناصر الطبيعة، وما يحدث لها من تغير وتحول

1- أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، ص198.

2- المصدر نفسه، ص198.

3- المصدر نفسه، ص201.

واندثار كأنها هي التي تجسّد الحياة والموت والفناء. فقد أفرعه الأسي أن تهلك هذه العناصر ويصيبها  
الفناء، يقول في نفس القصيدة:

أَتَنْطَوِي سَمَاوَاتُ هَذَا الْوُجُودِ؟ وَيَذْهَبُ هَذَا الْفَضَاءُ الْبَعِيدُ؟

وَتَهْلِكُ تِلْكَ النُّجُومُ الْقَدَامَى؟ وَيَهْرُمُ هَذَا الزَّمَانُ الْعَهِيدُ؟

وَيَقْضِي صَبَاحَ الْحَيَاةِ الْبَدِيعِ؟ وَلَيْلِ الْوُجُودِ الرَّهِيْبِ، الْعَنِيدِ؟

وَتَمْسُ نُوشَى رِدَاءِ الْعَمَامِ؟ وَبَدْرٍ يُضِيءُ وَعْغِيمٍ يَجُودُ؟

1

وَطَيْرٍ تُعْنِي خِلَالَ الْغُصُونِ وَتَهْتَفُ لِلْفَجْرِ بَيْنَ الْوُرُودِ؟

فهو يرى أن فناء عناصر الطبيعة يعني فناء الحياة كلّها، فالحياة بدونها موت في تصوره فقد

أصبح مثلا لا يستطيع أن يقطف وردة كونها تجسد الحياة والموت أحسن تجسيد.

هذا ما أشار إليه في إحدى مذكراته: "بلى فكيف تطاوعني نفسي على أن أقطفها فتدوى، وتموت

وأرى بعيني رفيف الحياة يفيض في أوراقها، وسحر الشّباب يتلاشى من ثغرها الجميل، ووريقاتها

الصغيرة الفاتنة تتناثر مضمحلة في أكفّ الرياح، أجل فقد أرى أنّي أقترف جريمة تتألم لها نفسي

باقتطائي وردة يانعة، وأحسب أنني قتلت نفسا بريئة وأزهقت روحا طاهرة، وقضيت على آمال فتية

تحلم بفجر الربيع"<sup>2</sup>. فالحياة والموت ثنائيتان متلازمتان متعاقبتان؛ كما هو الحال في تعاقب الفصول

فقد تتساقط أوراق الأشجار وتذبل في الشّتاء؛ ثم تعود بحلّة جديدة وأبهى صورة في فصل الربيع .

فالحياة ليست البداية التي لا نهاية بعدها؛ كما هو الحال في الموت فهو ليس النّهاية الذي لا بداية

بعده. إذ بهما ينشد الخلود الذي يكملهما معا، فالشّابي جعل الطبيعة وسيلة هامة يتأمل من خلالها

الحياة والموت، وينظر من خلالها إلى الفناء والبلى اللذان يصيبان الكون، وهكذا فإنّ الشّاعر يقف

1- أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، ص179.

2- أبو القاسم الشابي، الأعمال الكاملة المذكرات، ص21.

متأملاً في الوجود كإنسان أولاً ثم كشاعر ثانياً، بنزعة صوفيّة تظهر الرّغبة في الفناء عند اليأس بنشوة صوفية عند لقاء الكائن بالخالق حيناً، ورغبة بالعيش والتّمسك بالحياة ومظاهرها حيناً آخر ليظهر فرحه وسعادته ونشوته وارتشاف نسمات الأمل التي تتراءى له في أفق ظلّ يعتقد أنّه قريب لا محال آت.

الفصل التطبيقي:

# دراسة سيميائية لقصيدة النبيّ

المجهول

## النبيّ المجهول

20\_01\_1930

أَيُّهَا الشَّعْبُ ! لَيْتَنِي كُنْتُ حَطَّابًا  
لَيْتَنِي كُنْتُ كَالسُّيُولِ إِذَا سَالَتْ  
لَيْتَنِي كُنْتُ كَالرِّيَّاحِ فَاطْوِي  
لَيْتَنِي كُنْتُ كَالشِّتَاءِ أُعْشِي  
لَيْتَ لِي قُوَّةَ الْعَوَاصِفِ يَا شَعْبِي  
لَيْتَ لِي قُوَّةَ الْأَعَاصِيرِ إِنْ ضَجَّتْ  
لَيْتَ لِي قُوَّةَ الْأَعَاصِيرِ !... لَكِنْ  
أَنْتَ رُوحٌ غَيْبِيَّةٌ تَكْرَهُ النُّورَ  
أَنْتَ لَا تُدْرِكُ الْحَقَائِقَ إِنْ  
فِي صَبَاحِ الْحَيَاةِ ضَمَخْتُ أَكْوَابِي وَأَتْرَعْتُهَا بِخَمْرَةِ نَفْسِي  
ثُمَّ قَدَمْتُهَا إِلَيْكَ، فَأَرْهَقْتُ رَحِيقِي، وَدُسْتُ يَا شَعْبُ كَأْسِي  
فَتَأَلَّمْتُ... ثُمَّ أَسَكْتُ الْآمِي وَكَفَمْتُ مِنْ شُعُورِي وَحَسِّي  
ثُمَّ نَضَدْتُ مِنْ أَزْهِيرِ قَلْبِي بَاقَةً لَمْ يَمَسَّهَا أَيُّ إِنْسِي  
ثُمَّ قَدَمْتُهَا إِلَيْكَ، فَمَزَّقْتُ وَرُودِي وَدُسْتُهَا أَيُّ دَوْسٍ  
ثُمَّ أَلْبَسْتَنِي مِنَ الْحُزْنِ نُوْبًا وَبِشْوِكِ الْجِبَالِ تَوَجَّحْتُ رَأْسِي

1

1\_أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، ص145.

تعدّ السيميائية من أهمّ المناهج اللغوية التي تعيننا على استنطاق النصّ الأدبي، واستكشاف خبيئه؛ وهو مشروع نعثر فيه على اقتراحات معرفية بكيفية مواجهة النصّ باعتباره أداة تحيل على ما هو خارج النصّ. خاصة إذا تعلّق الأمر بالقصيدة التي على خرق العادة اللغوية.

"فالسيميائية تقتفي في تحليلها للنصوص حركة الدّوال في النصّ في استكناه المدلولات والوصول إلى قيمة العلامة وفعاليتها في النصّ، والأثر الدلالي الذي تحدّثه بالاعتماد على مبدأ التدليل"<sup>1</sup>؛ بإحضار الغائب والقراءة ما بين السطور لتصبح السيميائية في مستوى ما من التعامل مع النصّ كلغة ثانية (ميتالغة في رحلة البحث عن معنى المعنى وثواني المعنى).

وسنحاول أن نتبنى هذا المعطى المنهجي في تحليل هته القصيدة ورصد عناصر النسيج اللغوي من رمز وإشارة وإيقونة وانزياح، حيث تكون القيم الفنية و البنى الجمالية التي يرتقي بها النصّ إلى مسار الجودة والكمال.

والقصيدة تنتمي إلى البحر الخفيف:

يَا خَفِيفُ خَفَّتْ بِكَ الْحَرَكَاتُ فَاعِلَاتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ

وقد استعمل الشابي هذا البحر لحنّة حركاته، التي تتماشى وإحساسه المرهف الراض لكل أشكال الضّعف، والهوان والحمول الذي يعيشه شعبه.

---

1\_ جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، تر: جمال حضري، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007، ص57.

## المستوى الصوتي:

وهو أساس البناء اللغوي للنموذج الإبداعي سواء أتعلق الأمر بفنّ القريض أم بباقي الفنون النثرية الأخرى. "والصوت يحدد هويته بواسطة مجموعة من الصفات كالمخرج أو الهمس، والجهر، أو التفخيم والترقيق... وغيرها من الخصائص التي تميّز الصوت من غيره"<sup>1</sup>.

وغلبت على القصيدة الماثلة بين أيدينا، بعض الأصوات التي اتصفت بخاصية الهمس، والتي تكررت في عدّة ألفاظ على مستوى القصيدة كصوت السين والشين، وصوت الراء. وتشكّل هذه الحروف النظام الصوتي للبنية اللغوية، والتي تساهم في تمييز اختلاف معاني الكلمات الموظفة في النص، كما أنّ لخاصية الشدة، والمتمثلة في صوت القاف والكاف.

وقوف الشاعر المتباين بين صرخة متعالية، ودعوة إلى الوقوف في وجه الطغاة، وتحدي قوته وجبروته رغبة في التغيير وتجديد الحياة. وهو المبدأ الضامن لانسجام النص، واتساق وحداته، وارتباط أقواله، وهو أيضا تكرار مقنّن لوحداث الدال (ظاهرة أو غير ظاهرة)، صوتية أو كتابية، أو تكرار لنفس البيانات (العميقة والسطحية).

### التشاكل التعبيري:

وهو يعالج تكرار الأصوات بأنواعه المختلفة، والإتباع والوزن والخصائص الصوتية المترتبة عن ذلك. التراكم الصوتي: "يكون اختيارا، وهو نوع من اللعب اللغوي، لأنّ أي نصّهما يكن ليس إلّا ركاما وتكرارا لنواة معنوية موجودة قبلا"<sup>2</sup>. كما يتّضح لنا ذلك وقول الشاعر:

لبت لي قوّة العواصف...

ليت لي قوّة الأعاصير، إن ضجّت ...

ليت لي قوّة الأعاصير... لكن...

1\_ مصطفى حركات، الصوتيات والفونولوجيا، دار الآفاق، الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص18، 19.

2\_ محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2005.

ويني الشعور بالغلبة والانتقاص، وما يتبعه من مشاعر سلبية أخرى، كاليأس والتذمر من شعبه الذي أفقده الأمل، وما صار ليكون كما تمنّاه الشاعر أن يكون، فأحدث الانتكاسة والشعور بالقنوط واليأس.

### التشاكل والتباين:

يعدّ التشاكل والتباين من أهمّ مقومات العمل الفني، الذي تعيره السيميائية اهتماماً وتجعله محور الدراسة والتحليل.

والتشاكل عند غريغاس هو: "مجموعة متراكبة من المقولات المعنوية (أي المقومات)، التي تجعل قراءة متشاكلة للحكاية، كما نتجت عن قراءات جزئية للأقوال بعد حلّ إبهامها، هذا الحلّ نفسه موجه بالبحث عن القراءة المنسجمة"<sup>1</sup>. إنّ التشاكل لديه مقومٌ نحويّ ومقولة غائبة، لا نقف عند حدودها إلاّ من خلال القراءة المنسجمة؛ التي تمكننا من حلّ المبهم وفكّ الغامض. في حين يرى "براسين" أنّ التشاكل هو: "كلّ تكرار لوحدة لغوية مهما كانت"<sup>2</sup>. فالتشاكل لا يحصل إلاّ من تعدّد الوحدات اللغوية المختلفة، ونقف هنا على صورة من تشاكل التعبير، الذي نجده في غزيرا في البيت الخامس، والسادس والسابع.

والغرض منه إبراز القوّة الشعريّة، وتمكّن الشاعر من آليات اللغة مع حسن الديباجة والتوظيف.

### تشاكل المعنى:

ومما لا محالة فيه أنّ قصيدة النصّ الشعري، أو البنية العميقة للنموذج الإبداعي، هو قطب العملية التواصليّة التي يطمح كلاً من المبدع والمتلقّي في الوقوف عليها، وملامسة دلالتها وثواني دلالتها، إذ تبدو هذه القصيدة موزّعة بشكل فنيّ ومتّفق، تحيكها أدوات وتراكيب لغوية موزّعة بشكل منسجم

1\_ محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري\_إستراتيجية التناص، ص50.

2\_ المرجع نفسه، ص52

ومحکم، في تکرار بعض المقوّمات السّياقية كقوله:

\_ليتني كنت حطابا.

\_ليتني كنت كالسيول.

\_ليتني كنت كالرياح.

\_ليتني كنت كالشتاء.

\_ليت لي قوّة العواصف.

\_ليت لي قوّة الأعاصير.

فيتكرّر حرف ليت سبع مرّات في هته المقطوعة، وهو حرف تمنٍّ يحيل عن وضعين متناقضين، وضع الأسر والخضوع والاستكانة وعدم القدرة على الخلاص، ووضع آخر متناقض متحرّر طليق. ليت أداة لغويّة ترسم دلالات مستقبلية على صورة جديدة، وموقف متناقض لما كان عليه في السّابق، وهو الحال الذي ينبغي أن يكون.

... كنت حطابا...

... كالسيول...

... كالرياح...

... كالشتاء...

ليت لي قوّة العواصف...

ليت لي قوّة الأعاصير...

فهاته تشاكلات تحيل إلى تشاكلات أخرى عن طريق مشروع التّشبيه، فهته القوى الطبيعيّة عبارة عن مقوّمات تشترك في نفس الوظيفة ونفس قوّة الفعل، وفي اقتلاع ما هو كائن ومن جذوره، وعلى إحداث التّغيير وخلق وضع أريحيّ جديد مستقرّ.

فالحطّاب يقتلع من الشجر ما هو يابس من الأغصان، والسيول تحرف ما تلقاه في مجراها، من كلّ ما يعترض سيلها، والرياح تأخذ ما تأتي عليه، والشتاء بأمطارها ورياحها تحدث تغييرا، وتكسب الوضع خضرة ورونقا ونظرة بعد قحط وجفاف، وهي كلّها قوى لا تبقي ولا تذر. العواصف والأعاصير لها من القوّة ما للرياح، وباقي القوى الطّبيعيّة الأخرى.

وهذا المقوم ليت سيقى ممتدا على طول القصيدة، يبتّ رغبة وأملا وتطلعا لغدٍ مشرق مأمول ومنتظر، فالتشبيه أدّى إلى تفرّيع هذا التشابه. والتّمني فعل يخلّق إلى ذات الشّاعر: الشّاعر: ذات، إنسان، حيّ، ذكر.

قوى الطّبيعة: قدرة خارقة، فعل لفاعل مجرّد، القدرة الإلهية.

فالوسائط المقاليّة تشبيه التّخرّيجات المجازيّة، تساهم في تشكيل بعض المفارقات؛ من خلال خلق بعض القرائن لتقريب مجالين متناقضين:

المجال الأوّل: قوّة الإنسان.

المجال الثّاني: قدرة الدّات الإلهية المجرّدة.

كما نلاحظ تشاكلات أخرى هي مرادفات للأولى وظلالها:

— أنت حيّ تقضي الحياة برمس.

— أنت روح غبيّة... تكره التّور.

— تقضي الدّهور في ليل ملس.

— أنت لا تدرك الحقائق.

— ضمخت أكوابي...

— أترعتها بخمرة...

— فأرهقت رحيقي ودست يا شعب كأسّي.

— فتألّمت... فأرهقت رحيقي.

\_أسكت الآمي... كفكفت بشعوري وحسي.

هاته التخریجات اللغویة تحیل على وقائع وأحوال تخصّ شعبه الأسیر المستسلم، هذا الشعب الذي وقف كحجرة عثری أمام تحقیق أحلام وآمال الشاعر، وهو يعدّ العامل السلبي الذي يعترض على الموضوع الذي يبثّه الشاعر.

### الرّمزیة الصوتیة:

وهي عبارة عن خاصیة صوتیة تتعلّق بالبنیة اللغویة، وهي عبارة عن تراكم أصوات معیّنة أكثر من غيرها، وتظهر خاصیة الرّمزیة الصوتیة في أكثر من بیت في القطعة الشعریة كما هو حاصل في البیت الأول والثاني: (فأسي، السيول، رمسا برمسي).

كما أنّها تتجسد في قافية البیت، بل وأحيانا يتكرر اللفظ نفسه كما في الكلمة (رمس) في البیت الثّني والسّابع، وهذا ما نسميه في الرّمزیة تشاكل الكلمة.

ولها ته الخصائص تقاطع مع البنية النفسیة للشاعر (التي تبدو أنّها تعيش صورة من اليأس والقنوط والانهيار)، إذ تترجم هته المواصفات الحالة النفسیة التي يعيشها أبو القاسم في وسط هذا المجتمع المضطهد.

السّين: تنطق باندفاع كتلة الهواء من الرّئتين، فيرتفع جانب اللّسان إلى الحنك الأعلى؛ ثمّ يخرج صوت السّين مهموسا رخوا. والشاعر كذلك يحاول أن يشتت آثار هذه المعاناة والمآسي لمجتمع، ومن أعماقها لينثرها خارجا، ويجرّر شعبه ويخلّصه من كلّ القيود من جهل واستبداد.

وقد تردّد حرف السّين كثيرا في مونيّمات أبيات القصيدة، وهو ذاك الصّوت الذي أحدث وقعا لطيفا وجرسا موسيقيا بطبيعته الصّفیریة، وهي نعمة توحى دائما بالحزن والألم. وقويت دلالة هذا الشّعور بتوظيف آليات لغویة أخرى، حققت هذه الوظيفة وعزّزتها، ويتجلّى ذلك في كثرة المدّات التي توحى أيضا بإفراغ شحنات سلیبیة، والتّنفيس عن الهمّ والكرب.

وتتجلّى سیمیائیة القرب في البیت السّادس و السّابع في قوله:

ـ لیت لی قوۃ الأعاصیر إن ضحّت ...

ـ لیت لی قوۃ الأعاصیر ... لکن ...

ویأتی التکرار عمدا فی هذین البیتین، ویقصد الشّاعر من وراء ذلك التّأثیر فی المتلقی واستمالته، فهو ترید منفصل یجلب الانتباه، ویحصل به التّکرار واستساغة فحوی الرّسالة اللّغویّة، التي تحیل دائما علی مشاعر ساخطة، ورغبة قويّة فی إحداث التّغییر.

ویرى الدّارسون أنّ التّکرار الذي یقع علی مستوى الكلمة أو الجملة، له حلاوة علی الوظیفة البلاغیّة والتّداولیّة والإقناعیّة، ومن هذه الوظائف وظیفة تحسین القصیدة، ویشرط کمال جودتها، "وهو سرّ اللعب اللّغوی الذي یبیّن قدرة الشّاعر وتمکّنه من مفردات لغته"<sup>1</sup>.

وهو جوهر العمل الأدبی، وسرّ نجاح العمل الإبداعي، "وبخاصّة إذا تعلّق الأمر بفنّ القریض؛ الذي یحتمّ علی ناظمه تقدیم الدّلالة فی خبیئة ومسترة، لا تظهر إلاّ من وراء الحجاب"<sup>2</sup>.

---

1\_ محمد مفتاح، تحلیل الخطاب الشّعري إستراتيجية التناص، ص39.

2\_ المرجع نفسه، ص 41،40.

## المستوى المعجمي:

إنّ للمعجم علاقة بالبنية النحوية، فالجملة لا يتحدّد معناها، إلّا من خلال هذا المكوّن الأساس، وعليه كذلك تضبط العلاقة الدلاليّة بين المحمول والموضوع (المسند، والمسند إليه). والمعجم هو قائمة من الكلمات المنعزلة التي تتردّد بنسب متفاوتة في النصّ الإبداعي "وكلّما تردّدت بعض الكلمات بنفسها أو بمرادفاتّها، أو بتركيب يؤدّي معناها، كوّنت حقلاً أو حقولاً دلالية"<sup>1</sup>. والشّابي في قصيدة "النبي المجهول"، قد أحسن انتقاء واختيار الكلمات المعجميّة؛ التي الموضوع وأدّت الغرض، وهته الكلمات هي عبارة عن مفاتيح النصّ ومحاوره التي يدور عليها. وسنستعين ببعض الآليات في قراءة معجم الشّابي: ومن هته الآليات نذكر:

### 1\_ آليّة العموم والخصوص:

الشّتاء والخريف: كلمتان عامتان جامعتان لألّفاظ متعدّدة كالسّيول، كالريّاح، كالعواصف، كالأعاصير.

الشّعب: يمكن أن تضمّ عدّة كلمات أخرى تتعلّق بأحواله وأفعاله (حيّ، تكره، تقضي، لا تدرك، ضمخت، أرهقت، دست،...).

### 1\_ آليّة التّرابط المتقيّد أو الحرّ:

(رمسي، نحسي، يخنق، أذبل، ليل)، هته الكلمات تحمل دلالات مترابطة ومتقاربة؛ بحيث إذا ذكرنا كلمة منها، فإنّنا نتوقّع متتاليات من الكلمات المرادفة التي تعبّر عن نفس القصيدة. فالمعجم إذا هو الإطار الذي يشتغل في مجاله اللغة، ويحتلّ مكاناً مركزيّاً في أيّ نصّ، كما أنّ المعجم الموظّف في القصيدة، يناسب المقام والمقال. ولا شكّ أنّه يدلّ كذلك على جانب له علاقة بميول الشّاعر ورغباته، فالشّاعر كان يحبّ الطّبيعة ويتغنّى بها في أشعاره؛ هذا الميل هو الذي جعل معجم الطّبيعة هو الغالب على نسيج القصيدة، فالطّبيعة توحى بعدم استقرار الحال (الريّاح، الأعاصير)،

1\_ ينظر: محمد مفتاح، تحليل الخطاب السردي \_ استراتيجية التناص، ص58.

وهي كلّها مقوّمات توحى بحركة التّغيير. ورغم طغيان بعض الكلمات التي تدلّ على القوّة والحركة العنيفة، والتّصريح المباشر بالرّفص وعدم القبول، إلّا أنّنا نلمح في ثنايا هته التّخریجات اللّغويّة دلالات أخرى خفيّة ومضمرة، وهي دلالات تعبّر عن الرّغبة في حبّ التّغيير الحياة والعيش الكريم وإيقاظ النفوس، فالحياة قطب جديد مناقض للموت (التّخلّف، الجهل، الرّكود، الاستسلام، الخضوع...)، لا بدّ أن يصنعه الشعب.

يتبيّن لنا ممّا سبق أنّ المعجم يقوم بدور مهمّ في تركيب الجمل، وفي تحديد معناها وفق سياقات متعدّدة.

## المستوى البلاغي:

إنّ النصّ الأدبي يتركز على لغة نوعيّة قائمة على أساس علائق استبدالية، واجرائات ابدالية لا تمنح للوحدة الكلاميّة قيمتها الدلاليّة إلاّ وإطار سياق معيّن. وهو "مجموع من المتواليات الكلاميّة الخاصّة بنظام تركيبى منسق ومتّسق،" يفرضي إلى إنتاج خطاب مجازي بوصفه تشكيلا، تنتظم داخل نظامين:

الأوّل: نظام لساني.

الثاني: نظام دلالي تواصلية.

فالنظام اللساني يتحلّى بتلك المتواليات اللفّظيّة؛ التي قد تشكّل مجموعة من الدوال، حين يتمثّل النظام البراغمتي ومجموعة المدلولات، التي تحمل جانب المعنى<sup>1</sup>. ويشتغل النظام الأوّل والثاني على محور دلالي يفرض وجود علامات بديلة محتملة، وبروز دلالات جديدة.

وشعر الشّابي حافل بالأنماط التشبيهيّة التي تكشف عوالم التجربة الشعرية، وتعطينا دلالة على بعض أحوال الشّاعر؛ ذلك أنّه ينفث ما في صدره ولا يصبر عليه، وبالتالي فهو يغوي في أغوار ذاته المتألّمة ورحلتها عبر الزّمان ومنعرجات الغاب والطّبيعة. يعدّ التشبيه والاستعارة بؤرة الصّور الفنّيّة في الخطاب الأدبي والنّقدي القديم والحديث، فهما من أبسط مكّونات التّصوير.

يقول أبو القاسم الشّابي: "إنّ الفنّان الصّادق لا يعبر في فنّه إلاّ عن أسْمى صور الحياة وأنبهها"<sup>2</sup>، والشّابي في صورته البلاغيّة اعتمد على التشبيه والاستعارة والكناية، وهي ذات خصوصيّة على الطّريقة الجبرانيّة كونه ليس بمعزل عن شعراء المهجر وتأثيراتهم، لأنّه يدأب على حبّ القراءة والمتابعة.

1\_ محمد سالم سعد الله، مملكة النص التحليل السيميائي للنقد البلاغي المجراني نموذجاً، عالم الكتاب الحديث، الأردن، ط1، 2007، ص 39.

2\_ أبو القاسم الشّابي، الخيال الشعري عند العرب، ص 73.

وقصيدة "النبي المجهول" حافلة بالصّور البيانية، فخصوبة الخيال وفاعليته تمكنان من قدرة الشّاعر على توليد الصّور وإنتاجها، والجمع بينها يحرر قدرته على الكشف والإبداع، ومن البديهي أن يصدر الأديب بأسلوبه المراحل المختلفة لانفعالاته وإحساسه بالتجربة الشعورية التي يصوّرها.

## 1\_ الاستعارة:

يذهب بعض اللسانيين إلى أن الشعر "استعارة ثابتة ومعقدة، وأن القصيدة الشعورية هي كيمياء الفعل التي تجمع بفضلها داخل الجملة لا تجمع من جهة نظر المعايير الاستعمالية للغة، ومن هنا فالمبدع حينما ينشئ الخطاب الاستعاري إنّما يقوم بممارسة استبدالية وتركيبية على مستوى محوري الاختبار والتأليف"<sup>1</sup>.

وتكشف هذه العملية على القدرة الفائقة لدى الشاعر على ربط المعاني وتوليد بعضها من بعض، وعن القدرة على ابتكار الصورة البعيدة المأخذ.

تخضع البنية التركيبية للجملة إلى نمط من العلاقات يسمح من خلاله بإمكانية تبادل المواقع بين الدال والمدلول، ففي قول الشاعر:

ـ ليت لي قوّة العواصف...

ـ ليت لي قوّة الأعاصير...

ففي هذين البيتين، يتمنى الشاعر أن تكون لديه قوّة تشبه قوّة العواصف والأعاصير، والتدمير والاقتلاع، فالجاز الحاصل والمقوم البلاغي في هذه البنية استعارة تصريحية (العواصف، الأعاصير)، وهو يشير إلى جملة من الدلالات التي تأتي تباعاً؛ من عصف وتحريك، اقتلاع وتدمير، جرف وجزّ، تصفية وتنقية، وغلّوّ الجلبة والصّخب، وكثرة الأصدا، فلا تخلو هذه الأجواء إلى السكون إلاّ بالفناء. وهذه القوى لا تبقي ولا تذر؛ فهي تهدّد ما تأتي عليه من أخضر ويابس بفيضاناته وأمطاره، ورياحه العاتية بضجيجها ودويّها، وهو الحال نفسه الذي يشعر به الشاعر بين أغانيه، إنّها أحاسيس قوية،

---

1\_ رابع بوحوش، اللسانيات وتحليل الخطاب، عالم الكتاب الحديث، الأردن، ط1، 2007، ص40.

صاحبة هوجاء، تتموّج وتتقلّب وتضطرب بين جنباته، إنّها مشاعر السّخّط والغضب والرفض، والتّمرد والرّغبة والمواجهة والاندفاع والثّورة، هذا الشّعور السّلبّي القوي الذي يولّد ردّة فعل قويّة (محو استكانة الشعب وخموله واستسلامه للموت والجهل والفناء)، تحدث فعل الإيجاب (الانبعاث بعد الموت وإحياء شعلة الحياة).

ومن البنى الفاعلية التي نقف فيها على العبارة اللغويّة التي تفضي بك إلى ثواني الدلالات ومعنى المعاني قوله في الاستعارات المكنيّة التّالية:

\_يخنق الزّهور...

\_أذبل الخريف...

\_ألقي إليك ثورة نفسي...

\_لا تدرك الحقائق...

\_ضمخت أكوابي...

\_كفكفت من شعوري...

\_ثمّ نصّدت من أزاهير قلبي...

يقول الجرجاني: "وهكذا إذا استقرت التشبيّهات، وجدت التّباعد بين الشّيئين، كلما كان أشدّ كانت النفوس أعجب...، وكانت النفوس لها أطرب...، وذلك أنّ موضع الاستحسان أنّك ترى بها الشّيئين مثلين متباعدين ومؤتلفين مختلفين...، على أنّ الشيء إذا ظهر من مكان لم يعهد ظهوره منه، وخرج من موضع ليس بمعدن له كانت صباغة النفوس به أكثر، وكان بالشّغف منها أجدر فسواء في إثارة التّعجب وإخراجك إلى روعة المستغرب ووجودك الشيء ومكان ليس من أمكنته ووجود شيء لم يوجد...<sup>1</sup>."

1\_ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1981، ص109\_110.

المادة	المألوف	الخروج عن المألوف
الزهور	نبات له ربح طيب عطر	"كلّ ما يخنق الزهور بنحسي" صارت الزهور إنسانا حيا قابلا للخنق له طبيعة الحياة والموت
الخريف	فصل يستغرق فترة زمنيّة معيّنة، له بعض المظاهر كوجود الرّيح وسقوط بعض الأمطار، وتغير ملامح الطبيعة من الخضرة إلى البيس.	"كلما أذبل الخريف بقرسي" حصر هذا المقوم الذي يمتدّ لأيام وشهور في مجسّد نبات معين أصابه الذّبول.
الثّورة	مواجهة بتمرد على وضع كائن سلي، بغية تحقيق التّحرّر والنّصر.	"فألقي إليك ثورة نفسي " من الثّورة مادة محسوسة يمسك بها في يده فيلقها إلى الطرف الآخر متى يشاء.
الحقائق	معلومات ثابتة، مجردة ندرتها بالعقل.	"لا تدرك الحقائق إن طافت حوالك " فهي هنا كائن مجسد حي، يقوم بحركة الطّواف.
أكوابي	أداة يوظفها المرء لحاجاته المتعددة.	"ضمخت أكوابي " الأكواب بمثابة الجسد الذي يلطّخ بما هو خارجي عنه، فيؤذيه ويغيّر من شكله ولونه.

الشّعور	إحساس مضمّر غير مرئي	"كفكفت من شعوري" فصار كالدمع الذي يجري من مقلة العين فيمسح مرّة بعد مرّة.
أزاهير	شكل جميل لنبات معين ذو رائحة عطرة	"نضّدت من أزاهير قلبي" فصارت كالأحاسيس التي تختلج الشاعر لينسّقها ويرتبها ويضمها إلى بعضها، كالأشياء الملمومة ليجعل منها باقة منظمة ومتسقة.

ترجم هذه التّخریجات المجازية مآسي الشعب التونسي ومعاناته، ويتألّم الشاعر لآلامه ويتوجّع لما أصابه، فحملت هذه الصور الفنّية المرارة، مرارة الظلم والطغيان الذي قيّد حرّية الأمتة، ومنعها من التّحرّر وحسن العيش.

## 2\_ التشبيه:

إنّ مهام السيميائية وإطار محور التّشبيه هي فك العلاقة المتوتّرة بين طرفي التّشبيه، فتحوّل مواقع العلامات في نظامها التركيبي، لتصبح الصورة بنية لغويّة مستقرّة تغوص ودلالات باطنية، لا تقع عليها إلاّ بالقراءة وفهم الدال واستنباط مدلولاته، فالتدقيق والمعاني يحتاج إلى "فطنة لطيفة وفهم ثاقب وغوص شديد"<sup>1</sup>.  
فالفهم يرتبط من خلال استيعاب شبكة منظومة الدّوال، لغرض الانتقال إلى المحاولة الثانية من التّشاط التّأويلي.

1\_ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص205.

والتشبيه مراتب منه ما يقرب مأخذه ويسهل الوصول إليه، ومنه ما يحتاج فيه إلى قدر من التأمل، ويتفطن إليه إلا بفهم العلاقات الخفية بين أطراف التشبيه. وقد أكثر الشاعر من التشبيه في قصيدته فتكاثفت صوره، وتآلفت أجزاءه في نسق تخيلي بارع، لا ينم إلا على قدرة الشاعر وتمكّنه من ناصية اللغة؛ فتتابعت الدلالات والصّور والرؤى، لتفصح عن موقف الشّابي وقدرته التّجسيدية في نموذج الفني. "وكلّما كثرت الصّور النّصية والعملية التّشبيهية، كثرت معها علامات النّص، وكلّ علامة ستؤول إلى علامة أخرى"<sup>1</sup>.

وبهذا ستتكوّن سلسلة علامة تعمل "بوصفها بناء سيميائي ما ورائيا، ينتقل فيه المعنى متخطيا حواجز التّصوّر الظاهري إلى احتمالات متوقّعة للنّص"<sup>2</sup>.

ومن صور التشبيه التي وظفها الشاعر قوله:

ليتني كنت كالسيول إذا	سالت تهدّ القبور رمسا برمس
ليتني كنت كالرياح فأطوي	كلّ ما يخنق الزهور بنحسي
ليتني كنت الشتاء أغشي	كلّ ما أذبل الخريف بقرسي

فالشّابي في هاته الأبيات أمام أربع صور تشبيهية مرسله، والجدول التالي يبيّن تصوّره:

---

1\_ يوسف بن أبي بكر السكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000، ص567.

2\_ محمد سالم سعد الله، مملكة النّص، ص88\_89.

المشبه	المشبه به	الحال المطلوب
ذات الشاعر	الخطّاب	"فاهوي على الجذوع بفأسي" ، الرغبة في اقتلاع جذور الاستعمار.
ذات الشاعر	السيول	"تهدّ القبور" ، فعل التّغيير وموت الشعب وحالة الجمود التي ركن إليها.
ذات الشاعر	الرياح	"كالرياح فأطوي" ، لها قوّة التّغيير بحمل الرديء من الأشياء التي تصادفها وما يعترض طريقها.
ذات الشاعر	الشتاء	"كالشتاء أغشي" ، الشتاء له أيضا حركة التغيير بما تحدته رياحه وأمطاره، فيزيح كلّ ما أحدثه الخريف.
الحزن	الثوب	"ألبيستي من الحزن ثوبا" ، وكأن الحزن صار كالثوب الذي يغطّي كامل البدن، فتمكن مشاعر الحزن من ذات الشاعر هو إشارة إلى يأسه من شعبه الذي لن تكون له ردة فعل ايجابية.

ومن خلال هذه الترسيمات تظهر لنا قدرة الشاعر على التصوير، وحسن تجسيد مشاعره على نسيج

فني رائع، زاد من جمال وجودة القصيدة. فالعلاقة بين (ذات الشاعر) طرف المشبه ورموز الطبيعة (السيل والرياح والشتاء)؛ التي تشكل المشبه به الذي يمثل الطرف الصاحب؛ علاقة تفاعلية فكل من الرياح والسيل والشتاء تمتص غضب وثورة الشاعر وتطفئ أجيج النيران المشتعلة في صدره.

### 3\_ مقوم الكناية والتعريض:

ومن هنا لما يصبح المدلول دالا لمدلول ثان، وأحياناً لمدلول ثالث يحدده السياق. لتصبح الجملة مقسمة إلى قسمين:

أ\_ محور البنية السطحية: وما يعبر عنه بالجملة الكاملة للفكرة (ظاهر الكلام أو بدلالة المعجمية).

ب\_ محور البنية العميقة: ما حملة الجاز من دلالات خفية (معنى المعنى) ومعاني ثانية.

ومثل هذه التخريجات المجازية، تحتاج إلى منّا إلى بذل مجهود فكري، لاستنطاق المقفل واستحضار الغائب، وفكّ الخبيء بالتأويل والاحتمال. فالسياق النصي تحكمه مجموعة علاقات تتمثل ونسيج من العلامات المتوافقة والمتطابقة، أو المختلفة والمتضادة التي تؤدي إلى نشوء شبكة من القرائن السياقية، التي يتم من خلالها توظيف المعنى المراد.

وفي مثل هذا النوع من السياقات يرتقي العقل إلى أعلى درجات الخيال، حيث ينتقي من اللغة ما يتلاءم والصورة الشعرية، من ألفاظ المحاكاة بأسلوب جيّد معبر في جمل مركبة تدلّ على مظهر من مظاهر التميّز والتمكّن بألفاظ المدوّنة اللغوية، لإبراز المنفعة.

واللغة تنتظم في مستويين:

1\_ المستوى الأول: اللغة السطحية (لغة الموضوع).

2\_ المستوى الثاني: اللغة الشارحة (ما بعد اللغة، ميتالغة).

وهذا المستوى لا يتحقق إلا بالتأويل والتفكير والتدبر، في معاني لغة المستوى الأول، للانتقال من المعنى إلى معنى المعنى. والقصيدة الشعرية "النبي المجهول" حافلة بالأمثلة التي تجسّد الكناية ومنها:  
\_ أهوي على الجذوع بفأسي.

\_أدعوك للحياة بنبسي.

\_أنت حيّ يقضي الحياة بنبسي.

\_أنت روح غيبية، تكره النور...

في هذه التحريجات تلميح وإشارة، تحتاج منا إلى وقفة تأملية للوقوف على قصيدة الشاعر إذ أننا لا نستطيع تلمس قطوفه الدلالية إلا بالرجوع إلى متن القصيدة، فنجمع منها هذه الشظايا التأملية، فنعيد تركيب معانيها، لنكون منها هذه القصيدة التي يروم إليها الشاعر أن يجعلها بين يدي القارئ، ولكن ليس بالطريقة السهلة، إذ لا بدّ لهذا القارئ المتأمل أن يشارك الشاعر أحاسيسه وآلامه، بهذا الاجتهاد الذي يحقق معه استحضر مقولات الغياب وتفكيك شفراته المستننة.

فالشاعر في هذه القصيدة نجده في موقف مواجه مع الجانب السلبي فيه الذي تطبع به؛ ثمّ يشنّ هجومه اللاذع على شعبه، بسبب ضعفه وخاذله في مواجهة وضعه، وتغيير مصيره، الذي ينمّ عن فجوة سخيفة، فنفسية الشابي لا ترتاح كلّما ذكرت الاستبداد والأغلال، فيزداد حدّة في آلامه واضطهاد الاستعمار لشعبه وبلاده، إذ هو يصارع الظلم في كلّ سبيل وما سكن في ثورته، فظلّ يعطي في الأدب والاجتماع والوطنية، والصدق في إخلاصه لوطنه إلى أن يذوب في صلواته (وطنه)، ملتزماً بأداء الرسالة التي كان بها العين الكاشفة التي لمحت فجر الإنعتاق من وراء الظلام في حين الغفلة وشمول الحيرة، وتوالي المصائب على أبناء وطنه من جراء الاستعمار الظالم؛ إذ نجد في تصويره لروح العصر وملامح المآسي التي مرّت على تونس.

## سيمائية العنوان:

العنوان نصّ مصعّر، والنصّ الشعري يتكوّن من نصّين يشيران إلى دلالة واحدة في تماثلهما، مختلفة في قراءتهما هما: (النصّ وعنوانه) أحدهما مقيّد مكثّف، والآخر طويل. وهو محطة أوليّة تغري القارئ بمتابعة النصّ واقتفاء دلالاتها، ومحاولة فكّ شفراته الرامزة.

فالعنوان هو أوّل جملة تواجه القارئ رغم أنّها آخر ما يكتب من القصيدة، لأنّ العنوان يتولّد من القصيدة، وقد يكون مقتبسا من جمل نسيج القصيدة، يقول رابح بوحوش: "العنوان هو آخر ما يكتب وأوّل ما يهاجم بصيرة القارئ"<sup>1</sup>.

واختيار الشابي "النبي المجهول" كعنوان لقصيدته لم يكن اعتباطيا، وإنّما عدّ التّركيب الجملة النّوّة في بناء القصيدة، وهي ذاك المعنى المجرد والشّامل لقصيدة النصّ.

والعنوان جاء ليختصر الأبعاد الدلالية التي ضمتها متون القصيدة؛ ليكون نقطة تلاقي بين الشّاعر والنّبيّ، وبثّ الرّسالة المنوطة بهما، وثقل المهام على عاتقهما. هذه المشابهة التي لم يصرّح بها الشّاعر في أبيات قصيدته، إلاّ أنّ المتلقي يتلمّسها ويستشعر قربها، وما يقارب بين ما كلف به الرّسول عليه الصلاة والسلام، وغيره من الأنبياء الذين سبقوه، بإخراج الإنسانيّة من ظلمات الجهل إلى نور الهداية والإيمان، فكانت الضحية المواجهة والصّبر، والتّحدي وإقامة الحروب، إنّها مكابدة شبيهة بتلك التي يعانها الشّاعر، ويتحمّل مشاقّها في أعماقه.

وقد حمل العنوان في شقّه الثاني "النبيّ / المجهول"، دلالات إضافية أخرى سنقع عليها من خلال قراءتنا لما بين سطور القصيدة، ذلك أنّ التّراكيب اللغوية التي صيغت بأسلوب التّمني؛ الذي يومي بالأمل والانتظار والتّرقّب والطّموح والتّطلّع إلى قريب آتٍ.

لفظة "المجهول" حملت معانٍ متقاربة، ربّما الشّاعر يتمنى لو أنّ هناك من يتقلّد هته المهام، فينجح في توصيلها وبثّها إلى شعبه، هذا الطّرف الحاضر بكيانه الغائب بدوره وفعله.

---

1\_ رابح بوحوش، اللسانيات وتحليل الخطاب، ص 168.

كذلك يوحى بدلالة أخرى تمثّلت في عجز الشّاعر عن السّيطرة على هذا الكيان، وتحريكه بحسب رغبته ومصطلحته، وهذه الصورة تبدو واضحة ومرسومة بدءاً من الأبيات الأولى من القصيدة؛ وهي كلّها تجسيد ووصف ليأس الشّاعر وانقطاع أمله، ليحوّره إلى انعكاس حقيقي لأغواره. فالفاعليّة الدلاليّة للنّص والفاعليّة النّفسيّة للقاص، غير متطابقة إذ نجد بينهما مفارقة وتناقض، فالخطاب يصوّر مشهداً راقياً، كان من المفروض أن يكون هو المنحنى الذي خلق أريجيّة في نفسيّة الشاعر وسدّ النّقص فيها.

خاتمة

من خلال رحلة البحث التي قمنا بها في قراءات أشعار الشّابي، خرجنا ببعض النتائج :

\_الكلاسيكيّة دعت إلى التّقليد، وعدّت العقل أساس ومعيار فلسفة الجمال في الأدب، كما أنّها اهتمت بالشّكل والأسلوب، وطغت عليها الصّنع اللّفظيّة أكثر من نزوعها إلى الإلهام والموهبة واسترسال القول، واستبعدت العاطفة في حين أنّ الرومانسيّة مجدّت الدّاتيّة والحريّة التي تحكي عن ذات الشاعر وتموّجتها بين أحاسيس متباينة من حزن وكآبة وأمل، وخيال جامح والصّور والأحلام. كما تدعو إلى الثّورة والتّحليق بالمطلق واللامحدوديّة، كما أنّها اتّخذت من الطّبيعة ملجأ حيث الصّفاء والنّظرة السّليمة، ودعت إلى الإبداع والابتكار، والنّظر في أسرار الحياة ومعالجة وإصلاح الأوضاع الاجتماعيّة والثّقافيّة والسياسيّة.

يصف الشّابي احتفاله بلحظات الحبّ السّعيد مع الحبيبة دائماً في أحضان الطّبيعة، تحت ظلالها ونسماتها كطفلين سعيدين في انطلاقتهما نحو طفولتهما البريئة.

أغاني الشّابي سيطرت عليها الرّؤية الكونيّة الدراميّة المتصارعة، بين ذاته الإنسانيّة النّبيلة والطّموحة، وقوى الشرّ في المجتمع والواقع لتصوير المجتمع التّوتسي المتخلف. وديوانه أحسن منطلق لتوضيح الرومانسيّة، كونه مفعم بالصّور الحيّة أبرزها: الحياة، الحزن، الألم، الحبّ، الفرار من الواقع والهيام في سحر الطّبيعة، الحريّة، الوطن، الموت والقبر... وبهذا يكون أبو القاسم الشّابي قد احتلّ مكانة مرموقة في تونس، وبين أدباء الشّرق والعالم العربي، فهو ذلك النّمودج الرّفيع، والصّورة الحيّة الشّاملة لحياة الشّعب العربي بعامّة، والشّعب التونسي بخاصّة.

# قائمة المصادر والمراجع

## المصادر والمراجع

### 1\_المصادر:

- 1\_ القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع.
- 2\_ أبو القاسم الشابي، ديوان أبو القاسم الشابي، دار العودة، بيروت، (د،ط)، 1972، الجزء الأول.
- 3\_ أبو القاسم الشابي، ديوان أبو القاسم الشابي "أغاني الحياة"، الدار التونسية للنشر، تونس، ط2، 1983، الجزء الأول.
- 4\_ أبو القاسم الشابي، ديوان أبو القاسم الشابي "الخيال الشعري عند العرب"، الدار التونسية للنشر، تونس، ط2، 1983، الجزء الأول.
- 5\_ أبو القاسم الشابي، الأعمال الكاملة "المذكرات"، الدار التونسية للنشر، تونس، (د،ط)، 1984، الجزء الثاني.
- 6\_ أبو القاسم الشابي، الأعمال الكاملة "الرسائل"، الدار التونسية للنشر، تونس، (د،ط)، 1984، الجزء الثاني.
- 7\_ الإفريقي ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1424هـ \_ 1994م
- 8\_ ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد قرقران، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1988.
- 9\_ ثابت بن جابر الفهمي، ديوان ثابت بن جابر الفهمي "تأبط شرا"، دار الكتب العلمية، بيروت، (د،ط)، (د،ت).
- 10\_ جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة والنشر، ط1، 1429هـ \_ 2009م.
- 11\_ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1981.

12\_ يوسف بن أبي بكر السكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000.

## 2\_المراجع:

1\_ أبو القاسم محمد كرو، الشابي حياته وشعره، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت).

2\_ أحمد أمين، النقد الأدبي، المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعية، الجزائر، (د،ط)، 1992.

3\_ أدونيس، مقدمة الشعر العربي، دار العودة، بيروت، ط4، (د،ت).

4\_ إيليا الحاوي، الرومانسية في الشعر الغربي والعربي، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1983.

5\_ توفيق بكار مشاركة في دراسة أبي القاسم الشابي، حوليات الجامعة التونسية، تونس، عدد2، (د،ط)، 1965.

6\_ جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، تر: جمال حضري، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007.

7\_ شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف، ط5، (د،ت).

8\_ رايح بوحوش، اللسانيات وتحليل الخطاب، عالم الكتاب الحديث، الأردن، ط1، 2007.

9\_ عبد المجيد الحر، أبو القاسم الشابي "كوكب السحر"، دار الكتب العلمية، بيروت\_ لبنان، ط1، 1995.

10\_ عطية عبد الهادي عبد الله، ملامح التجديد في موسيقى الشعر العربي، بستان المعرفة، الإسكندرية، (د،ط)، 2002.

11\_ فؤاد القرقوري، أهم مظاهر الرمانطيقية في الأدب العربي الحديث وأهم مؤثراته الأجنبية فيها، الدار العربية للكتاب، (د،ط)، 1988.

12\_ نادرة جميل سراج، شعراء الرابطة القلمية "دراسات في شعر المهجر"، دار المعارف، مصر،

(د،ط)، 1964.

- 13\_ نسيب النيشاوي، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د،ط)، 1984.
- 14\_ محمد حركات، الصوتيات والفونولوجيا، دار الآفاق، الجزائر، (د،ط)، (د،ت).
- 15\_ محمد الصالح الجابري، ديوان الشعر التونسي، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، ط1، 1976.
- 16\_ محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية، دار العودة، بيروت، (د،ط)، 1973.
- 17\_ محمد غنيمي هلال، النقد الأدب الحديث، دار العودة، بيروت، ط1، 1982.
- 18\_ محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري \_ إستراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2005.
- 19\_ يوسف عطا الطريفي، أبو القاسم الشابي حياته وشعره، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، 2009.

## الملخص:

يعدّ الشابي من المحدثين الذين أحدثوا تغييرا في معنى الشعر، ذلك أنّه بثّ فيه بعض المضامين وبعض الأفكار؛ التي لم تكن مطروقة قبلا، مع محافظته على القالب الشعري القديم وبعض الأغراض الشعرية.

## الكلمات المفتاحية:

التجربة الشعرية، الغاب، الرومانسية، الأحاسيس، الحياة، الطبيعة، مناجاة النفس، الثورة، التحرّر، النبي المجهول...

## Résumé :

Est Shabi moderne qui en fait un changement dans le sens de la poésie, de sorte que la diffusion de certains contenus et certaines idées qui n'étaient pas martelé un baiser, avec sa province sur le vieux continent et partie de la substance populaire .

## Mot-clés :

But de la romance, de sensations ,vie ,naturel ,soliloque de confiance de contrôle, la guerre ,révolution ...

## Summary:

Al-Shabi is one of the modernists who has made difference in the meaning of poetry, it has some contents and some ideas that were not previously mentioned while preserving the old poetic mold and some poetic purposes.

## key words:

Purpose ,romance ,sensation ,life ,natural ,self-healing ,revolution emancipation...

